(مذكرات في البلاغة للشيخ/ سُلَيْمان نَوَّار)

قراءة بلاغية نقدية

إعداد

أ . د / طلعت عبد اللّه بسيوني أبو حلوة

أستاذ البلاغة والنقد - كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنين - دسوق - جامعة الأزهر

(مذكرات في البلاغة للشيخ/ سُلَيْمان نَوَّار) قراءة بلاغية نقدية

طلعت عبد الله بسيوني أبو حلوة
قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق جامعة الأزهر
البريد الإلكتروني: talat144100@gmail.com

الملخص:

لقد ظهر بلاغيون في العصر الحديث أَثْرَوا المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات البلاغية بعيدة عن الشروح والمتون والتعليق على الشروح والحواشي، وظهرت مؤلفات لها مؤثراتها وفكرها وذوقها الخاص بعيدة عن التعقيد والجمود، ويعد الشيخ سليمان نوار من أعلام ورجال الإصلاح في هذا العصر، وعلماء البلاغة الجامعين بين الأصالة والمعاصرة، والمحافظة والتجديد ، فقد أسهم في التأليف البلاغي بكتاب نفيس هو أشبه بالدُرَّة الثمينة، وهو كتاب "مذكرات في البلاغة"، وقد تناول فيه مبحثي نظم الكلام ومواقع التمثيل عند الإمام عبد القاهر الجرجاني.

وقد دار البحث حول مبحثين: أما المبحث الأول "نظم الكلام": فقد تضمن مفهوم النظم، وتقسيمه إلى صحيح وفاسد، وتقسيم الصحيح إلى بليغ وغير بليغ، كما تضمن أيضًا مرجع المَزِيّة في الكلام مع ترجيح إرجاع المَزِيّة إلى النظم، وتضمن كذلك قضية حكاية النظم، والشبهات الواردة في ذلك، مع القطع بأن حكاية النظم ليست نظمًا.

وأما المبحث الثاني "مواقع التمثيل": فقد اشتمل على عرض آراء البلاغيين في مفهوم التمثيل مع ترجيح رأي الإمام عبد القاهر، كما اشتمل أيضًا على ذكر أقسام التمثيل، وتنوع آثاره بتنوع الأغراض التي يرد فيها، وذكر أسباب حسنه، مع بيان الفرق بين المجهود الفكري في الكلام البليغ والمجهود الفكري في الكلام المعقد.

وقد شفعت ذلك بخاتمة، رصدت فيها أهم النتائج والتوصيات التي أسفر عنها هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: مذكرات– البلاغة– الشيخ– سُلَيْمان– نَوّار– قراءة– بلاغية– نقدية.

Notes on Eloquence by the Scholar Sullayman Nawwar (Rhetoric Critical Study)

Talat Abdallah Basyouny Abuhelwah.
Department of Rhetoric and Criticism at the College of Islamic and Arabic Studies for Boys, Desouk
Al Azhar university.
E. mail : talat144100@gmail.com

Abstract

Rhetoricians who appeared in the modern era enriched the Arabic library with many rhetorical works that were far from explanations, texts, and commentary on commentaries and footnotes. These books that appeared had their own influences, thought and taste. They were far from complexity and unchangeability. Suleyman Nawwar, who combined between originality and modernity as well as preservation and renewal is considered to be one of the best rhetoricians in this age. He contributed to the rhetorical studies with a precious book that is like a precious pearl, This book is called “Notes on Eloquence”, in which he dealt with the two topics of speech components and the cases of analogy by Imam Abd al-Qaher al-Jurjani.

The researcher defined the author's life in terms of his name, lineage, birth, upbringing, works and jobs his students and death. This study consists of two topics. The first one is "Speech Components" which involves the concept of components and its classification to correct and incorrect and dividing the correct speech into rhetoric and non- rhetoric. It also included the reference to the good discourse, with the evaluation of returning the good one to the components , and also included the issue of the story of components , and the suspicions contained in that, with the confirmation that their story is not components.

As for the second Topic, "Cases of analogy": it included presenting the views of the rhetoricians on the concept of analogy with the evaluation of the opinion of Imam Abd al-Qaher. Eloquent speech and intellectual effort in complex speech. It also involves the classification of analogy. The variation of the analogy influence is due to the diversity of purposes in the context used. The reasons for the good use of analogy are mentioned with indicating the distinction between the intellectual effort in the eloquent speech and the intellectual one in the non-eloquent speech.

At the end of the study, the researcher added a conclusion in which the results and the recommendations of the study are written down.

Key words: Notes- Eloquence- Scholar- Sullayman- Nawwar- Rhetoric- Critical- Study.

المقـدمـة

الحمد لله الذي نطقت بشكره الألسنة، وجل عن أن يأخذه نوم أو سنة، والذي لا تدركه الأبصار، ولا تبلغه الأفكار، ولا تحجبه الأستار، ولا تخفى عليه الأسرار، والذي دار بأمره الفلك الدوار، واختلف بحكمه الليل والنهار، والصلاة والسلام على من تبوّأ من الفصاحة ذروتها، واقتعد من البلاغة مكان صَهْوَتها، وتَبَلَّجَتْ من جبهته أسرار طلعتها، النبيِّ محمدٍ المختار، وعلى آل بيته الأطهار، وأصحابه الأبرار، والتابعين الأخيار، ومن تبعهم بإحسان ما طلعت الشموس والأقمار.

أما بعد

فقد كان الشيخ نوار –رحمه الله– شخصية علمية كبيرة، وعلمًا بارزًا من أعلام الأزهر العظام، كما كان رجلًا ثائر العقيدة حَمِيَّ النفس، وكان شخصية علمية كبيرة قامت بدور كبير في خدمة الثقافة العربية والإسلامية في الأزهر في العصر الحديث، وقد كان قوي الشخصية والمنهج العلمي، وكان نموذجًا في الفصاحة والبلاغة، في أسلوبه ديباجة، وفي ألفاظه جرس قوي، دعا إلى الارتقاء بمستوى اللغة العربية وعلومها وآدابها في طريق التراث والأصالة مع المعاصرة أيضا بتأثير الاتصال بالثقافات العالمية، وكانت أفكاره في البلاغة العربية أفكار عالِم ثائر على الجمود والتقليد، يعمل من أجل تجديد الثقافة البلاغية ومن أجل تأصيلها وتعميقها في أذهان الشباب، فله نظراته التجديدية الثاقبة، وآراؤه الصائبة المتفردة، وكتاباته في الإيجاز والإطناب والمساواة من أجلّ ما كتب في هذه الجوانب في البلاغة العربية، مما يشهد له بعُلُوّ الباع في فهم خصائص أسلوب العرب وبلاغتهم وبسمو الذوق الأدبي والموهبة المطبوعة على الفصاحة والبيان وبعظمة

المنزلة العلمية في علوم البلاغة ودراساتها، أصاب الطلاب منه علمًا غزيرًا وفكرًا مستنيرًا(١).

وقد أصيبت البلاغة في عصره بالجمود والركود، وكانت في أمس الحاجة إلى من يبعث فيها روح الحياة والتجديد، ويحيي فيها أسرارها ولطائفها، فكان له في ذلك سهم كبير وحظ وافر، ويتضح ذلك جليًّا في كتابيه ودُرَّتَيْه: "مذكرات في البلاغة"، و"مذكرات في الفصل والوصل والقصر"، يقول د/ علي العماري: "وقد منيت علوم البلاغة في العصر بدعاة التجديد، وهي في شديد الحاجة إلى من يجد أخلاقها، ولكنها لا تظفر إلا بالدعاوي العريضة الكاذبة، ونستطيع أن نقول: إن التجدد فيها وقف بعد الإمام الجليل الشيخ عبد القاهر الجرجاني، وإن ما بذل بعد ذلك ليس إلا محاولات بسيطة إن لمست بعض النواحي في هذا الفن فإنها لم تخلص إلى اللباب، وإن في (مذكرات في علوم البلاغة). لفضيلة الشيخ سليمان نوار لوثبات تبشر بخير، وهي بعد جديرة بالتقدير"(٢)، ويقول د/ محمد عبد المنعم خفاجي: "وهناك مذكرات قيمة مطبوعة في بحوث البلاغة للأستاذ سليمان نوار"(٣).

ولقد حَفَزَني إلى دراسة هذا الموضوع ودفعني إلي بحثه عدة دوافع منها

---

(١) من أعلام الأزهر الشيخ سليمان نوار: ٤١٧/ مقال للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي/ منشور في مجلة الأزهر/ الجزء الثالث/ السنة السادسة والخمسون/ ربيع الأول/ ١٤٠٤هـ – ديسمبر ١٩٨٣م.

(٢) مقال بعنوان "علوم البلاغة في الجامعة" للأستاذ/ علي العماري/ منشور في مجلة الرسالة/ العدد (٦٨٧) : ١٣/ سبتمبر / ١٩٤٦/ القاهرة.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ١٧٦/ الخطيب القزويني / تحقيق : د / محمد عبد المنعم خفاجي / دار الجيل / بيروت / الطبعة الثالثة / ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ./ تحت عنوان (مؤلفات متأخرة في البلاغة).

ما وجدته عند الشيخ نوار في هذا الكتاب الرائع من آراء ومناقشات بلاغية ونقدية تستحق أن تدرس، وتخرج إلى النور؛ لينتفع الباحثون وطلاب البلاغة بثمرتها، كذلك ما وجدته فيه من أفكار تجديدية تخدم البلاغة العربية، وتأخذ بيدها من الجمود والتقليد إلى التطور والازدهار، هذا بالإضافة إلى ما تضمنه من تحليلات بلاغية رائعة، وتأملات رائدة، وفوائد بلاغية، ولطائف بيانية.

وبمطالعة سجل أبحاث ودراسات المكتبة البلاغية لم أجد أية دراسة تتناول هذا الكتاب، وتعرض ما فيه من آراء وأفكار، وتُجَلِّي ما انطوى عليه من دفائن عجيبة وكنوز بديعة تفصح عن شخص المؤلف، وتعرب عن أفكاره الدقيقة والمتطورة، وإضافاته المحمودة الرائعة للبلاغة العربية، وكل ما وجدته مكتوبًا عن هذا الكتاب هو مجرد إشادات بقيمته ومكانته، وإشارات إلى منزلته ودرجته في حقل البلاغة العربية، الأمر الذي جعلني أسأل نفسي، لماذا لم يحظ هذا الكتاب بدراسة بحثية تعرض مافيه وتناقشه، وتجلي درره ولآلئه، وتخرجها من أصدافها.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث صعوبة العثور على المصادر والمراجع التي تخدم هذا البحث، لا سيما أنه لم توجد دراسة بلاغية سابقة تلقي الضوء على موضوع هذا الكتاب الذي هو أشبه بالدرة الثمينة والجوهرة النفيسة، ومن هذه الصعوبات كذلك ما وجد في هذا الكتاب من أخطاء مطبعية كانت تضطرني في بعض من الأحيان إلى مراجعة النص وسياقه، أو تغيير بعض الألفاظ، أو تقدير بعض الكلمات؛ ليفهم النص على وجهه الصحيح، هذا بالإضافة إلى عدم عزو نصوص وشواهد هذا الكتاب إلى مظانها من المصادر والمراجع مما كان يضطرني إلى الرجوع إلى مظان هذه النصوص وتلك الشواهد لفهم سياقها، والتأكد من سلامة ألفاظها، وصحة عبارتها، كل هذا وغيره كاد أن يثنيني عن هذا البحث لولا عون الله –عز وجل– وعنايته.

هذا، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تناولت فيها أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، والصعوبات التي واجهتني في دراسته، والهيكل الذي

جاء عليه البحث.

وأما التمهيد: فقد اشتمل على التعريف بالمؤلف من حيث: اسمه ونسبه، ومولده، ونشأته، وأعماله ووظائفه، ومؤلفاته، ووفاته، وتلامذته.

وأما المبحث الأول "نظم الكلام": فقد تضمن مفهوم النظم، وتقسيمه إلى صحيح وفاسد، وتقسيم الصحيح إلى بليغ وغير بليغ، كما تضمن أيضًا مرجع المَزِيّة في الكلام مع ترجيح إرجاع المَزِيّة إلى النظم، وتضمن كذلك قضية حكاية النظم، والشبهات الواردة في ذلك، مع القطع بأن حكاية النظم ليست نظمًا.

وأما المبحث الثاني "مواقع التمثيل": فقد اشتمل على عرض آراء البلاغيين في مفهوم التمثيل مع ترجيح رأي الإمام عبد القاهر، كما اشتمل أيضًا على ذكر أقسام التمثيل، وتنوع آثاره بتنوع الأغراض التي يرد فيها، وذكر أسباب حسنه، مع بيان الفرق بين المجهود الفكري في الكلام البليغ والمجهود الفكري في الكلام المعقد.

وأما الخاتمة: فقد رصدت وسجلت فيها أهم النتائج والتوصيات التي أسفر عنها هذا البحث، ثم ذَيَّلْت ذلك بثَبَت للمصادر والمراجع التي استفدت منها، واستقى البحث منها مادته، وبمَسْرَد للموضوعات التي اشتمل عليها البحث.

وما كان في هذا البحث من توفيق وصواب فمن الله –عز وجل– وحده، وما كان من خلل أو خطأ أو نسيان فمن نفسي، وذلك من سِيَم البشر غير المعصوم؛ لأن الكمال لا يكون إلا لله وحده، والعصمة لا تكون إلا لنبي، ولكن حسبي أني أخلصت النية، وأصلحت الطَّوِيّة، واجتهدت داعيًا الله ألا يحرمني ثواب المجتهد أصاب أو أخطأ، وأن يرزق هذا العمل القبول والاستحسان في الدارين، وأن تُقالَ عثراته، وتعذر زلاته، ويُغَضَّ الطرف عن هفواته، ولله دَرُّ عليّ بن الجَهْم حيث قال :

وَمَن ذا الَّذِي تُرْضَى سَجاياهُ كُلُّها كَفى المَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعايِبُهْ[(١)]

(١) ديوان علي بن الجهم: ١١٨/ من بحر الطويل/ تحقيق: خليل مردم بك/ دار الآفاق الجديدة/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

التمهيد

التعريف بالمؤلف:

أ – اسمه ونسبه: سليمان محمد عبد الرازق نَوّار[١].

ب – مولده: وُلِدَ في مدينة (مركز) كفر شكر بمحافظة القليوبية سنة (١٣٠٤هـ – ١٨٨٦م) [٢].

ج – نشأته: تخرج من الأزهر الشريف عام ١٩٢١م، وعاش عصر النضال الوطني العظيم ضد الاحتلال الإنجليزي في عصر مصطفى كامل وسعد زغلول، فشهد ثورة الزعيم الوطني مصطفى كامل أو قل حركته الوطنية الكبرى من أجل الحرية، واشترك في ثورة ١٩١٩م، فكان هو والشيخ محمود أبو العيون والشيخ محمد عبد اللطيف دراز والسيد حسن القاياتي والشيخ الزنكلوني –رحمهم الله جميعا– من خطباء الثورة المصرية، وعلى منبر الأزهر كانت أصواتهم أعلى الأصوات وأكثرها حماسًا وإيمانًا، كما اشترك في ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وكان صوته من أول الأصوات العالية في تأييد الثورة ومساندتها ودعوة الشعب إلى الالتفاف حولها والثقة بها، وكان يجعل النضال الوطني من أجل حرية وطنه جزءًا متمّمًا لنضال العالم الديني من أجل خدمة شريعة الإسلام ولغة القرآن [٣].

---

(١) جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: ٦/ ١٣٦/ أسامة السيد محمود الأزهري/ مكتبة الإسكندرية / مصر/ ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه، من أعلام الأزهر الشيخ سليمان نوار: ٤١٥– ٤١٧.

اشترك مع صفوة من العلماء في المطالبة بإصلاح الأزهر والعمل من أجل ازدهار حلقاته العلمية مسترشدًا في ذلك بأفكار الإمام محمد عبده الذي كان أقرب العلماء في العصر الحديث إلى قلوب الشباب من أبناء الأزهر وخريجيه وشيوخه. وبفكره المستنير وعقله الواسع وذوقه العربي الأصيل وثقافته الواسعة التي كان من أدواتها إجادة اللغة الفرنسية كان يملك قلوب الناس وعقولهم، ويستحوذ على ألباب الشباب وحبهم وتقديرهم. أَخْلَصَ طيلة حياته للعمل من أجل ازدهار الثقافة العربية والإسلامية(١).

د – أعماله ووظائفه: ١– التفتيش على العلوم العربية في الأزهر. ٢– تولى مشيخة معهد القاهرة الثانوي الأزهري. ٣– أستاذ في كلية اللغة العربية، فقام بتدريس البلاغة والأدب والحديث والتفسير. ٤– تولى عمادة كلية اللغة العربية، وكان أول عميد لها، ثم ترك العمادة فترة قصيرة، ثم أُعيد إليها مرة ثانية. ٥– اشترك مع صفوة من العلماء في المطالبة بإصلاح الأزهر والعمل من أجل ازدهار حلقاته العلمية مسترشدًا في ذلك بأفكار الإمام محمد عبده. ٦– أُسْنِدَ له مهمة الإشراف على التدريب العسكري في معهد الزقازيق عندما أنشأت الحكومة الجيش المرابط عام ١٩٣٩م في وزارة علي باشا ماهر. ٧– عضو في هيئة كبار العلماء (٢).

(١) من أعلام الأزهر الشيخ سليمان نوار: ٤١٧.

(٢) السابق: ٤١٦، ٤١٧، جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: ٦/ ١٣٦.

هـ – مؤلفاتـه: ١– مـذكرات فـي البلاغـة، وهـو موضـوع الدراسـة[١]. ٢– مذكرات في الفصل والوصل والقصر. ٣– مذكرة في علم البيان (ذكره الدكتور/ محمد أبو موسى ضمن مراجع كتابه "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية" تحت رقم: ٩٢. ٤– كتاب في الحديث النبوي الشريف [٢].

و – وفاتـه: ظل الشيخ سليمان يناضل ويكافح نضال الأبطال وكفاحهم، ويبني من حيث يهدم غيره، ويجهر برأيه حرًّا حين يصمت سواه إلى أن تُوُفِّيَ – رحمه الله – تعالى – رحمة واسعة – يوم الثلاثاء الموافق الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة (١٣٨٨هـ – الحادي عشر من فبراير سنة ١٩٦٩م) عن ثلاثة وثمانين عامًا قضاها في خدمة دين الله وجنبات الأزهر واللغة العربية، أنزله الله منازل الصديقين [٣].

ز – تلامذته: كان أستاذًا لقطاع كبير من الأئمة الكبار منهم: ١– الإمام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر. ٢– الشيخ أحمد حسن الباقوري. ٣– الشيخ محمد متولي الشعراوي. ٤– الشيخ عطية صقر. ٥– الشيخ أحمد حسن عامر. ٦– د. محمد عبد الخالق عضيمة. ٧– د/ أحمد حسن كحيل[٤].

---

(١) وُضِعَ هذا الكتاب لطلبة السنة الرابعة بكلية اللغة العربية، وطُبِعَ الطبعة الأولى بمطبعة الصاوي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ. ويقع في ثمان وثمانين صفحة من القطع المتوسط، وتدور مادته حول محورين رئيسيين: المحور الأول نظم الكلام، والمحور الثاني مواقع التمثيل.

(٢) جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: ٦/ ١٣٦، من أعلام الأزهر الشيخ سليمان نوار: ٤١٧.

(٣) السابق نفسه، من أعلام الأزهر الشيخ سليمان نوار: ٤١٧.

(٤) جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: ٦/ ١٣٦.

وهكذا فقد تَرَجَّلَ الفارس، ورحل عالمنا، وترك لنا تراثًا فكريًّا تضمنته مؤلفاته، ووعته عقول طلابه ومريديه، فظل حيًّا بآدابه وآثاره، يقول الشاعر فاضل أصفر:

ما مات من زَرَعَ الفضائلَ في الوَرى بل عاش عُمراً ثانياً تحتَ الثَّرى
فالــذكرُ يُحيــي مــيــتــاً ولــرُبّمــا مات الذي مازال يَسْمعُ أو يَرى[1]

(١) لم أعثر لقائلهما على ديوان مطبوع، وهو شاعر سوري معاصر. شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

المبحث الأول- نظم الكلام:

قد ذكر الشيخ/ سليمان نوار في تمهيد كتابه أن الإمام عبد القاهر قد وُجِدَ في مجتمع وُجِدَ فيه من يصد عن الشعر، ومن يصد عن النحو، ومن اختلف في مرجع حسن الكلام، أهو اللفظ في ذاته أم المعنى؟ ولكلٍّ وجهته وأدلته وأنصاره، وذلك خطر على البلاغة، وفهم أسرارها، وإدراك إعجاز القرآن، فجند عبد القاهر نفسه وناضل نضالًا قاسيًا بدأ فيه وأعاد، وأطنب وكرر، ورمى برأيه في أثناء تلك الهجمات، فجاء رأيه مضطربًا غير واضح، وبأساليب متضاربة، لكن من يقرأ جملة كلامه يستطيع التوفيق فيه، واستخلاص رأيه منه(١). وهذا شأن عبد القاهر في كثير من الأحيان، الأمر الذي يستلزم من القارئ معاودة وتكرار القراءة ليستطيع أن يصل إلى الهدف المقصود والغرض المشود.

كما ذكر الشيخ نوار أيضًا أن الإمام عبد القاهر ذكر رأيين في حسن القول وفي البلاغة وفي الفصاحة، الرأي الأول هو أن حسن القول يكون لذاته، وأن للفظ حسنًا ذاتيًّا لا شأن له بمعناه، وأن هذا الحسن لا يخرج عن تلاؤم الحروف، وسلامة النطق، وفخامة اللفظ وجزالته، وأن الألفاظ الدالة على حسن القول كالبراعة والبلاغة لم تقع إلا وصفًا للفظ.

والرأي الثاني هو أن حسن القول يكون بمعناه، وليس للفظ حسن في ذاته، وإنما حسنه بحسن معناه، كما ذكر الشيخ نوار كذلك نقد عبد القاهر لمن يرى أن للكلام حسنًا لا يعلل، وأنه لا سبيل إلى معرفة العلة، وأن ذلك يدل على ضعف العقل وجموده، ولا سيما أن العلوم ما هي إلا نتاج إعمال العقل والبحث والاستقصاء، ووليدة كدّ الفكر وإعمال الرويّة.(٢).

(١) مذكرات في البلاغة: ٢-٤/ مطبعة الصاوي/ ١٣٥٤هـ.

(٢) السابق: ٤-٧.

وقبل أن يذكر الشيخ نوار رأي عبد القاهر في مرجع الحسن عرض مجموعة من المُسَلّمات، وهي أن البلاغة ونحوها صفة للفظ، ولا تسمع صفة للمعنى، وأن المعنى في نفسه إما حسن وإما قبيح عُبِّرَ عنه أم لم يُعَبَّر، وأن اللفظ يشرف بشرف معناه، ويعرض له الحسن من جهة حسن مدلوله، وأن تلاؤم الحروف، وسهولة المخرج، وفخامة اللفظ، حسن في اللفظ، ثم استفم عن الحسن الذي تبحث عنه علوم البلاغة، والذي تتفاوت فيه الشعراء المفلقون والكتاب المبدعون، وذكر أنه لا شأن لعلوم البلاغة بحسن المعاني أو قبحها في أنفسها؛ لأن هذا أمر تقرره العادات، ويختلف باختلاف البيئات، ولأن المعاني أمام الناس جميعًا، ولأن المعنى في ذاته لا صنعة فيه لشاعر ولا لكاتب ولا لخطيب، وإنما تبحث البلاغة عن تَوَخِّي خصائص في الكلام، وعن نوع خاص من الطرق التي تعرض المعنى على نفس السامع، ويهمها جمال العرض، وحسن النظم، وتأدية المعنى بأساليب مؤثرة تحمل المتلقي على قبوله والتأثر به(١).

وأوضح أن الرأي الصواب والأولى بالاعتبار هو أن حسن اللفظ الذاتي وجماله الفني ليس حسن حروفه وسلاسته فقط، ولا حسن معناه في نفسه، وإنما هو حسن نظمه، وحسن عرضه للمعنى حتى لو كان المعنى قبيحًا، فالناس قد يتفقون في المعنى الواحد، ويختلفون في صورة عرضه، وطريقة تأديته، ومن هنا يفضل شاعرٌ آخرَ، ويفوق خطيب خطيبًا، فترى المعنى الواحد يعرضه شاعر في أسلوب ساحر جذاب، وآخر يعرضه في أسلوب ناقص ضعيف لا صنعة فيه ولا رواء، ومَلاك هذا أن قوة الأداء، ورصانة التركيب، وأخذ بعضه بحُجَز بعض حتى يؤثر الكلام التأثير المطلوب به، وحتى ينال المتكلم به غرضه، هو الميدان الذي تتسابق فيه

(١) السابق: ٧، ٨.

الفحول، وتختلف فيه الدرجات حتى يكون القول معجزًا، ويرتقي النظم عن قوة البشر، والمثلُ الأعلى لذلك هو القرآنُ، وذكر أن البلاغة والفصاحة عند الإمام عبد القاهر اشتمال الكلام على مزايا وعلى خصائص من تقديم وتأخير وحذف وذكر ... وأنه لا بد من ملاحظة مواطن تلك المزايا والمقامات التي تدعو إلى ملاحظتها، وأورد مجموعة من الأمثلة توضح ذلك وتؤكده، كما ذكر الشيخ/ نوار استنتاجًا مهمًّا وهو أن قول البلاغيين: البلاغة المطابقة لمقتضى الحال مأخوذ من كلام الشيخ/ عبد القاهر، وإنما عملهم هو الإيجاز والاختصار(١). وبهذا فقد فهم الشيخ نوار عن الإمام عبد القاهر مذهبه في حسن الكلام، وهو أن حسنه لا يكون في الألفاظ نفسها، ولا يكون في المعاني ذاتها، وإنما يكون في جودة الصياغة مع حسن الضم والتركيب وكمال تأدية المعنى بأحسن طرق الأداء بحيث يصيب من المتلقي مواقع الإقناع من العقل، ومواضع التأثير من النفس.

وأراد الشيخ نوار أن يوفق بين الرأيين، وأنهما معًا على صواب، ولو تفاهم معهم الإمام عبد القاهر لعلم أن من يقول بالحسن للفظ يريد أن الحسن لا يكون مقتصرًا على المعنى في نفسه، ومن يقول بالحسن للمعنى يريد أن الحسن لا يكون مقتصرًا على اللفظ في ذاته، فقال: "فمن قال: إن حسن اللفظ لنفس اللفظ لا يريد تلاؤم حروفه فقط، ولكن يريد أن حسنه ليس بحسن معناه في نفسه، وإنما جماله في نظمه، وحسن صياغته، وكمال تأديته ... كما أن من يقول: إن الحسن للمعنى يمكن أن يكون مراده أن اللفظ لا يكون حسنًا إلا إذا عاد على المعنى بالحسن، وذلك بجمال عرضه

(١) السابق: ٩، ١٠.

للمعنى، وهو ما ذهب إليه الشيخ، أظن أن الشيخ لو تفاهم مع أصحاب هذه الآراء لما وجد خلافًا، ولوافقوه على ما يقول"[١].

وأشار الشيخ نوار إلى ملحوظة مهمة، وهى أن البلاغة تتحقق بكل ما يورث الكلام حسنًا، ويؤدي المعنى أحسن أداء، ويعرضه في صورة ساحرة أخاذة بالنفوس سواء كان ذلك بأسلوب بياني أم بديعي، فلا فرق بين محسن بديعي كحسن التعليل والتقسيم ومحسن بياني كاستعارة وكناية، وإنما كانت التفرقة فكرة السكاكي وغيره ممن قسموا علوم البلاغة إلى معانٍ وبيان وبديع[٢].

وذكر أن النظم عند عبد القاهر لا يعني تصحيح الكلام فقط وإخضاعه لقواعد النحو ومباحثه دون لزوم ملاحظة ما يدعو إلى إيثار معنى من معاني النحو على آخر، كإيثار تعريف على تنكير، أو تقديم على تأخير، ودون تَوَخِّي معاني النحو، وإنما يعنى بالنظم عند عبد القاهر ملاحظة معاني النحو ووضع كل معنى في موضعه، فيُعَرَّف في مقام التعريف، وينكر في مقام التنكير، وأفاد أن المزايا ليست بواجبة لمعاني النحو في أنفسها، وإنما تجب لها بحسب الأغراض والدواعي[٣].

واستنتج الشيخ نوار من كلام عبد القاهر تقسيم النظم إلى قسمين: صحيح، وفاسد، ثم تقسيم الصحيح إلى قسمين: صحيح بليغ، وصحيح غير بليغ، وذكر أن الفاسد –وهو المعقد– ما خفيت دلالته على معناه لخروجه عن المعروف من معاني النحو وقواعده مثل حذف أشياء بدون دليل، والصحيح هو ما اتضحت دلالته على المعنى، وجاء على مقتضى معاني

(١) السابق: ١٢، ١٣.

(٢) السابق: ١٥.

(٣) السابق: ١٦، ١٧.

النحو سواء أكان بليغًا أم غير بليغ، والبليغ هو ما تُوُخِّيَ فيه معاني النحو، ووُضِعَ فيه كل معنى في الوضع المناسب له بأن اقتضاه غرض من الأغراض، وهو معنى قول البلاغيين في تعريف البلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وذكر أن لمعاني النحو اعتبارين: الأول بيانها في أنفسها، ليكون الكلام صحيحًا لا خطأ فيه، وهذه مهمة علم النحو، والثاني تعليلها وتطبيقها على الأغراض والدواعي، وهذه مهمة علوم البلاغة، وأفاد أن خلاصة ما ذكره عبد القاهر أن النظم يرجع إلى النظر في جميع مباحث علم النحو، فإن كان تأليف الكلام موافقًا لمعاني النحو كان صحيحًا، وإلا فهو فاسد، وأن بلاغة النظم في توخي تلك المعاني، ووضع كل واحد في موضعه اللائق به(١).

وأشار الشيخ نوار إلى أمر مهم وهو البلاغة الكلية، ونَوَّهَ بأهميتها، وأنه ينبغي النظر إليها مثل النظر إلى البلاغة الجزئية التي عُنِيَ بها عبد القاهر كغيره عناية كبيرة، يقول: "وقد عرفت أن نحو ما تقدم من البلاغات الجزئية التي تتعلق بأجزاء التراكيب، وقد عُنِيَ بها الشيخ كغيره عناية كبيرة، وأن هناك بلاغة كلية تتعلق بتصوير الشاعر أو الناثر المعنى الذي يقصده جميعه، وإجادته ذلك التصوير، وهذه حَرِيّة بأن ينظر إليها، ويهتم بها وإن كانت نتيجة للبلاغة الجزئية. أريد أنه مع بيان البلاغات الجزئية في قطعة شعرية أو نثرية مثل بلاغة تعريف كلمة وتقديمها، ينبغي أن ينظر إلى تصوير المعنى جميعه، وحسن تأديته، وربط أجزائه بعضها ببعض، وكيف بُدِئَ بجزء وثُنِّيَ بآخر، فذلك النظر يكشف تمام الكشف عن جمال التأدية"(٢).

(١) السابق: ١٧-١٩.

(٢) السابق: ١٩، ٢٠.

وأورد لكلٍّ من النظم الفاسد والنظم الصحيح البليغ مجموعة من الأمثلة مبينًا ما في الفاسد من فساد وما في الصحيح البليغ من أسباب صحته وأسرار بلاغته؛ وذلك ليتضح الأمر للقارئ تطبيقيًّا، فأورد للفاسد ستة أمثلة منها قول الفرزدق في مدح خال هشام بن عبد الملك بن مروان:

وما مِثْلُهُ في النَّاسِ إلا مُملَّكًا أبو أمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ(١)

ثم قال في تعليقه عليه: "مثل هذا البيت إنما يصدر عمن التوى عليه القصد، وتعثر في طريق الأداء، ولولا التواتر على نسبة هذا البيت للفرزدق لترددنا في نسبة هذا إليه"(٢).

وقول المتنبي:

ولِذا اسمُ أَغْطِيةِ العُيُونِ جُفُونُها من أَنَّها عَمَلَ السّيُوفِ عَوامِلُ(٣)

ثم قال في تعليقه عليه: "ترى هنا حسن تعليل لتسمية غطاء العين جفنًا؛ لأن الواقع أن الجفن مشترك بين جفن العين وجفن السيف، ولكن أبا الطيب ادعى أن الجفن خاص بالسيف، ثم علل كما رأيت، ولكنك ترى مع هذا قبح نظم وسوء تأليف وخفاء المشار إليه بقوله: ولذا"(٤).

ثم يقول عقب الأمثلة التي مَثَّلَ بها للنظم الفاسد مبينًا أن صحة النظم وفساده وبلاغته ناتجة عن طريقة تناول معاني النحو، وراجعة إلى وجه استخدامها: "وإذا ثبت هذا ثبت أن صحة النظم هي تعاطي معاني

---

(١) لم أعثر عليه في ديوانه، وهو موجود في أسرار البلاغة: ٢٠/ من بحر الطويل/ عبد القاهر الجرجاني / تحقيق : محمود محمد شاكر/ مطبعة المدني/ القاهرة، دار المدني/ جدة/ الطبعة الأولى/ ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

(٢) مذكرات في البلاغة: ٢٠.

(٣) ديوان المتنبي: ١٧٨/ من بحر الكامل/ دار بيروت/ بيروت/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) مذكرات في البلاغة: ٢٠.

النحو وقواعده على وجه الصواب، ومتى كانت الصحة والفساد في النظم مرجعهما إلى مراعاة معاني النحو كانت المزية والفضل فيه مرجعهما إيضًا إلى هذه المعاني. إذن النظم توخي معاني النحو في معاني الكلم، إلا أن هذا التوخي تارة يكون صوابًا، وتارة يكون غير صواب، وتارة يكون بليغًا، وتارة يكون غير بليغ"(١).

وأورد للنظم الصحيح البليغ نموذين، نكتفي بأحدهما، وهو قول إبراهيم الصولي في مدح محمد بن عبد الملك الزيات:

فلو إذْ نبا دَهـرٌ وَأَنكَر صاحِبٌ وَسُلِّطَ أَعداءٌ وَغاب نَصيرُ

تَكونُ عن الأَهوازِ داري بِنَجْوةٍ وَلكنْ مقاديرٌ جَرَتْ وَأمورُ

وَإِنّي لأَرجو بعد هذا محمدًا لأَفضلِ ما يُرْجَى أَخٌ ووَزِيرُ(٢)

حيث قام بتحليلها، وأبرز أسرارها ولطائفها، وأبان دقائقها، ثم قال بعد تحليله لها وبيان بلاغة نظمها: "لقد رأيت محاسن كثيرة في هذه الأبيات، فهل رأيتها خرجت عن معاني النحو؟ كذلك كل مزية نسبت إلى النظم لا بد أن تكون في معنى من معاني النحو، نظم دقيق يتحد وضعه، ويأخذ بعضه بحُجَز بعض"(٣).

ثم تناول الشيخ نوار بعض الأساليب البلاغية التي يتضح فيها النظم الذي هو عماد البلاغة، فتحدث عن المزاوجة، وذكر أنها من صميم البلاغة، وأوضح أن بعض ما عده البلاغيون من علم البديع ومن

---

(١) السابق: ٢٣.

(٢) ديوان إبراهيم بن العباس الصولي –ضمن كتاب الطرائف الأدبية–: ١٣٢/ من بحر الطويل / بلفظ "تَغَيَّرَ لي دهرٌ"/ تحقيق: عبد العزيز الميمني/مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة/ ١٩٢٧م.

(٣) مذكرات في البلاغة: ٢٧.

المحسنات العرضية لا الذاتية كالمزاوجة قد جعله الإمام عبد القاهر من دقة النظم؛ لما فيه من ترابط أجزائه، وترتب بعضها على بعض، وذكر أن كثيرًا من المحسنات المعنوية كالمذهب الكلامي، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، أولى بأن تكون من صميم البلاغة، ومن المحسنات الذاتية(١).

ثم تناول نوعًا من الأساليب يعد من دقة النظم، لم يسمه عبد القاهر، وإنما مَثَّلَ له بقول سليمان بن داود القُضاعي:

فبينا المرءُ في علياءَ أَهْوَى ... ومُنْحَطٌّ أُتِيحَ له اعتلاءُ

وبينا نعمةٌ إذ حال بُؤْسٌ ... وبُـؤْسٌ إذ تَـعقَّبـه ثَـراءُ(٢)

وسَمَّى الشيخ نوار ما في هذين البيتين مقابلة، وذكر أن للمقابلة حسنها البديعي؛ "لأن فيها جمع الأشياء المتقابلة، وذلك يوضحها أكمل توضيح، فإذا كان في الأسلوب تخييل أن هذه الأشياء المتقابلة حاصلة في وقت واحد- مع أن المتقابلات لا بد في حصولها لشيء واحد من اختلاف- كان ذلك آية في البلاغة، وفي دقة النظم، يقول القُضاعي: إن الدنيا لا تدوم على حال ... هذا معنى معروف، ولكن القُضاعي أبدع في نظمه وتصويره"(٣).

كما تناول الشيخ نوار نوعًا آخر من دقة النظم لم يسمه عبد القاهر أيضًا، وإنما مَثَّلَ له بقول كُثَيِّر عزة:

---

(١) السابق: ٢٨، ٢٩.

(٢) لم أعثر لقائلهما على ديوان، وهما موجودان في دلائل الإعجاز: ٩٤/ من بحر الوافر/ عبد القاهر الجرجاني/ تحقيق: محمود محمد شاكر/ مطبعة المدني/ القاهرة، دار المدني/ جدة/ الطبعة الثالثة/ ١٣١٤هـ - ١٩٩٢م.

(٣) مذكرات في البلاغة: ٣٠.

وإنِّي وتهيامي بعزَّة بعدما ... تخَلَّيْتُ ممّا بيننا وتَخَلَّتِ
لكالمُرتجي ظلَّ الغمامةِ كُلَّما ... تَبَوَّأَ منها للمقيلِ اضْمَحَلَّتِ[1]

وذكر أن هذا من التمثيل، وبَيَّنَ بلاغة نظمه فقال: "ترى أنه من الممكن وضع المعنى في أسلوب موجز هكذا: أنا مع شدة هيامي بعزة لا أحظى بشيء من وصلها، ولكن كُثَيِّرًا صَوَّرَ هذا المعنى فأبدع، وأول ما يروقك في حسن التصوير ذلك التمثيل الرائع ... هذا تمثيل رائع في نظم دقيق. انظر تراه راعى في المشبه جميع ما لاحظه في المشبه به"[2].

وأشار الشيخ نوار إلى فائدة مهمة عقب تعليقه على هذين البيتين، ونَبَّهَ إلى أمر مهم، وهو أنه لا مشاحة في الاصطلاح، وأن الأهم ليس التسمية –وإن كانت مهمة والأسماء كثيرة– وإنما الأهم هو فهم أسرار دقة النظم، ولك أن تسميه دقة التمثيل أو دقة التشبيه"[3].

وذكر أنه من دقيق النظم التقسيم، والتقسيم فالجمع، وأنهما محسنان معنويان عَرَضِيّان من علم البديع عند المتأخرين، لكن الإمام عبد القاهر يجعلهما من دقيق النظم، وفَضَّلَ التقسيم فالجمع على التقسيم وحده، وبَيَّنَ الشيخ نوار سبب ذلك وهو أن التقسيم عمل واحد، والتقسيم فالجمع عملان، وأن التقسيم توزيع وتفريق، وجَمْع ما تفرق بعد ذلك ضرب من البراعة وجمال التصوير ودقة النظم[4].

---

(١) ديوان كثير عزة: ١٠٣/ من بحر الطويل/ تحقيق: د/ إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت/ لبنان/ ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

(٢) مذكرات في البلاغة: ٣٠، ٣١.

(٣) السابق: ٣٢

(٤) السابق: ٣٣، ٣٤.

نلحظ هنا أن هذه الأساليب البلاغية –المزاوجة والمقابلة والتمثيل والتقسيم فالجمع– تعد من دقيق النظم؛ لما فيها من قوة الترابط والتعانق والتعالق، ففي المزاوجة تَرَتُّب فعل واحد مختلف المتعلق على شرط وجزائه، وفي المقابلة جمع للأشياء المتقابلة، وتخييل بأن هذه الأشياء حاصلة في وقت واحد، وفي التمثيل يراعي المتكلم في المشبه جميع ما لاحظه في المشبه به، وفي التقسيم فالجمع تفريق ثم جمع ما تفرق، ولا يخفى ما في ذلك من البراعة ودقة النظم؛ ولذا أوردها الإمام عبد القاهر تحت عنوان "فصل في النظم يَتَّحِدُ في الوضع، ويَدِقُّ فيه الصُّنْع"(١). وأوردها كلها الشيخ نوار تحت عنوان "المزاوجة"، ولعله اكتفى بها لاشتراكها كلها في علة دقة النظم، وهي قوة الترابط والتناسق والتعانق والتعالق بين أجزاء الكلام.

نظم صحيح غير بليغ:

أوضح الشيخ نوار النظم الذي يقصده الإمام عبد القاهر وأساس ذلك عنده، فذكر أن النظم الذي يريده الإمام هو النظم البارع والتأليف الساحر، والدقة التي بها يكون الكلام المؤلف جديرًا بالإعجاب والثناء، وينال المتكلم به غرضه من السامع، فيملك قياده وتوجهه إلى ما يريد، وجعل أساس النظم الفكر والروية والبراعة في ضم الكلام بعضه إلى بعض حتى يكون كسبيكة أفرغت في قالب واحد، وإذا لم يجنح المتكلم إلى مثل هذه الروية وتلك

(١) دلائل الإعجاز: ٩٣– ١٠٥.

البراعة، وعمد فقط إلى ضم جمل إلى أخرى بدون أن يتوخى معاني النظم، لم يكن تأليف كلامه بدون هذا التوخي نظمًا(١).

وبناء على النظم الذي قصده الإمام وأساس ذلك عنده، فقد أخرج الإمام من النظم الذي جعله عماد البلاغة قول الجاحظ: "جَنّبَك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبًا، وبين الصدق سببًا، وحَبَّبَ إليك التثبت، وزين في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عز الحق، وأودع صدرك برد اليقين"، وقول بعضهم: "لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين، وما أفصح لسانه، وأحسن بيانه، وأمضى جنانه، وأبل ريقه، وأسهل طريقه"، وقول بعضهم أيضًا: "اللسان أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر عن الضمير، وشاهد ينبئك عن غائب، وحاكم يفصل به الخطاب، وواعظ ينهى عن القبيح، ومزين يدعو إلى الحسن، ووزارع يحرث المودة، وحاصد يحصد الضغينة، ومُلْهٍ يونق الأسماع"، ومثل هذا الكلام لم يجب له فضل إلا بمعناه، أو بمتون ألفاظه دون نظمه وتأليفه وإن كان قد اطرد على الصواب، وسلم من العيب واللحن وزيغ الإعراب؛ لأن الذي يعتد به الإمام أمور أخرى فوق ذلك تدرك بالفِكَر اللطيفة، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم، أما الاطراد على الصواب، والسلامة من العيب، والتحرز من اللحن، فلا يحتاج في التحفظ منه إلى لطف نظر، وفضل روية، وقوة ذهن، وشدة تيقظ(٢).

لكن الشيخ نوار لم يوافق الإمام عبد القاهر في إخراج قول الجاحظ ونحوه من النظم –وأرى الشيخ نوار مصيبًا فيما ذهب إليه؛ لأن النظم

(١) مذكرات في البلاغة: ٣٥.

(٢) السابق: ٣٥، ٣٦، وينظر دلائل الإعجاز: ٩٦– ٩٨.

والبلاغة منازل ودرجات ومستويات متفاوتة- يقول: "سبق أن قلنا: إن الشيخ قد بالغ في هذه الجملة، وإن الإنصاف أن يُعَدَّ تأليف مثل هذا نظمًا؛ لأن فيه معاني كثيرة من معاني النحو التي هي أساس النظم عند الشيخ، فلنعتبره من النظم وإن كانت درجة نظمه ضعيفة، ولنعتبره بليغًا وإن كانت درجة بلاغته أقل من درجة نظم آخر فيه تلك الصنعة العجيبة وذلك التأليف الرائع، فلبلاغة النظم درجات تتفاوت من درجة إلى مائة، أو من درجة إلى ألف"(١).

مَزِيّة اللفظ و مَزِيّة النظم:

تناول الشيخ نوار هنا قضية مرجع الحسن في الكلام، وهل هو حسن النظم، أو حسن اللفظ، أو حسن النظم واللفظ معًا؟

فذكر أن مرجع مزية النظم هو حسن توخي معاني النحو كتقديم كلمة على أخرى لغرض يدعو إليه، ومن حذف كلمة حذفها أبلغ من ذكرها، ومن تعريف يكون أفضل من تنكير، وتنكير يكون أجمل من تعريف، وهكذا، وأن مرجع مزية اللفظ هو حسن متون الألفاظ ومادتها، وذلك بأن تكون مستوفية لما اعتبره العلماء في فصاحة الكلام وغير ذلك مما لم يرجع إلى النظم(٢).

كما ذكر أن الاستعارة -كما ظهر وفُهِمَ من كلام الإمام عبد القاهر- ليست من النظم، وأن حسنها لفظي وليس من النظم، وأن البلاغة وجمال القول كما يكونان في حسن النظم يكونان في استعارات رائعة، ومجازات حسنة، وكنايات عجيبة، ونَبَّهَ هنا إلى أمر مهم، وهو أن الإمام إذا كان قد نفى -كما يفهم من كلامه في بعض المواضع-أن يكون حسن القول

(١) مذكرات في البلاغة: ٣٥، ٣٧.

(٢) السابق: ٣٧.

لاستعارة فيه، فإنه يجب أن يحمل كلامه على أن الحسن ليس للاستعارة فقط، بل لها ولما فيه من دقة نظم، وإحكام تأليف(١).

كما أفاد الشيخ نوار أن الإمام عبد القاهر قد خرج إلى أن الحسن قد يكون للنظم واللفظ معًا، وقد يكون للفظ فقط، وقد يكون للنظم فقط، وأن الذي يكون للنظم واللفظ معًا هو الذي يقع فيه الخلط والإشكال؛ لأنه قد يضيف الناظر فيه الحسن إلى اللفظ مع أن النظم أولى بإضافة الحسن إليه(٢).

وذكر أن أساس هذا التقسيم هو وضوح حسن اللفظ، أو النظم، أو هما معًا، فإن كان الظاهر في الأسلوب جمال اللفظ أضفت الحسن إليه، وإن كان الظاهر جمال النظم أضفت الحسن إليه، وإن كان الحسن ظاهرًا فيهما معًا أضفت الحسن إليهما، أو أن أساس هذا التقسيم هو وجود أحد الحسنين فقط في التركيب أو وجودهما معًا، وأهم هذه الأقسام هو ما تُوُخِّيَ فيه حسن النظم واللفظ معًا(٣).

وبعد أن أوضح مزية اللفظ ومزية النظم أورد طائفة من الأمثلة والشواهد البليغة التي اجتمع فيها الحسنان: حسن اللفظ وحسن النظم، ووقف مع كل مثال متأملًا ومحللًا ما فيه، وكاشفًا ما اشتمل عليه من أسرار بديعة، ومبيّنًا ما تضمنه من لطائف حسنة، ومن ذلك قول ابن المعتز:

(١) السابق: ٣٧، ٣٨.

(٢) السابق: ٣٨.

(٣) السابق نفسه.

وَإِنِّي عَلَى إِشْفَاقِ عَيْنِي مِنَ الْعِدَا ... لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرِقُ[١]

يقول الإمام عبد القاهر مبيّنًا أن الاستعارة ليست من النظم، وأن حسنها لفظي، وأن المزية هنا ليست للفظ فقط، وإنما هي للفظ والنظم معًا: "فترى أنّ هذه الطُّلاوة و هذا الظرف إنما هو لأن جعل النّظر «يجمح» وليس هو لذلك، بل لأن قال في أول البيت «و إنّي» حتى دخل اللّام في قوله «لتجمح»، ثم قوله: «منّي»، ثم لأن قال «نظرة» و لم يقل: «النّظر» مثلا، ثم لمكان «ثم» في قوله: «ثم أطرق»، و للطيفة أخرى نصرت هذه اللطائف، و هي اعتراضه بين اسم «إن» و خبرها بقوله: «على إشفاق عيني من العِدى»[٢].

ثم جاء الشيخ نوار وتعقب الإمام عبد القاهر في عدم جعله للاستعارة هنا حسنًا، وأثبت لها الحسن فقال: "ترى قلم الشيخ جمح هنا، فلم يجعل للاستعارة في "تجمح" حسنًا، مع أن حسنها آية"[٣]، ثم أخذ يخفف من حدة وإفراط نظرة عبد القاهر في نفي الحسن للاستعارة هنا مبيّنًا المقصود فقال: "تستطيع أن تخفف من غلوائه بنحو ما سمعت من أن المقصود أن الحسن ليس لهذه الاستعارة وحدها، بل هو لها ولما بَيَّنَ من جمال النظم، وإن كان أسلوبه هذا جامحًا عن هذى المعنى"[٤]، ثم أخذ يؤكد هذا المقصود من كلام الإمام، ويدلل علي أنه لم ينف الحسن عن الاستعارة مطلقًا فقال:

---

(١) ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن المعتز: ١/ ٣٨٨/ من بحر الطويل/ بلفظ "من القَذَى" بدلًا من "من العِدَى"/ تحقيق د: محمد بديع شريف/ دار المعارف/ القاهرة/ مصر/ بدون تاريخ.

(٢) دلائل الإعجاز: ٩٩.

(٣) مذكرات في البلاغة: ٣٩.

(٤) السابق نفسه.

"وسيأتي له في قوله تعالى: ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ [1] الرجوع إلى الإنصاف وتقرير أن للاستعارة في "اشتعل" حسنًا"[2].

ثم يعلق الشيخ نوار معترضًا على عدم تعليل الإمام عبد القاهر لبعض اللطائف التي أشار إليها في هذا البيت فيقول: "وقد سنح بالبال هنا أنه يكتفي في التعليل بما قال، فيدعي أن في البيت "وإني على إشفاق عيني ..." حسن نظم وجمال تأليف، ويعلل هذا بأن الشاعر قال : "نظرة"، ولم يقل: "النظر"، وبأنه فصل بين اسم "إن" وخبرها بقوله: "على إشفاق عيني من العدى"، وهكذا، ثم يقف عند هذا البيان، فلا يكلف نفسه وجه فضل "نظرة" على النظر، ووجه حسن الفصل بين اسم "إن" وخبرها على وصلهما، ولعمري إن هذا وقوف عند أسرار النظم الحقيقية، وهي الجديرة بالبيان، وقد عُنِيَ بها المتأخرون، على أن الشيخ نفسه قد عُنِيَ بهذه الأسرار في مواطن كثيرة"[3]. ولعل الإمام عبد القاهر ترك التعليل هنا؛ ليُشْرِك القارئ معه، فأخذ يبين له لطائف النظم، وتركه؛ ليستنتج هو أسرارها، ويفك شفرتها، وكأن الإمام هنا أعطى القارئ المفاتيح، وتركه يفتح هو؛ ليتذوق حلاوة الفتح.

ثم بسط الشيخ نوار الكلام في تحليل هذا البيت تحليلًا معلَّلًا، وهو تحليل رائع عميق، واستكناه بديع للطائف النظم في هذا البيت، وتجلية لأسراره، رأيت أن أنقل ذلك هنا للقارئ؛ لعله يهتدي به نموذجًا في تحليل النصوص، وكشف رموزها، وإبراز أسرارها، يقول: "لم كان التأكيد في قوله: "وإني" حسنًا؟ الشأن في مثل هذا الخبر أن ينكر، أو يتردد فيه على أقل

(١) مريم: ٤.

(٢) مذكرات في البلاغة: ٣٩.

(٣) السابق: ٣٩، ٤٠.

تقدير؛ لأنه نظر مع إشفاق عينه من العدى الذين هم بمرأى من عينيه، وتَبِعَتْ "إن" اللام في "لتجمح". ما السر في اقتحام "على إشفاق عيني من العدى"؟ إنه بدأ بما يثير في نفس السامع التطلع إلى الخبر، ولأنه سبب غرابة الخبر. أما التعبير بقوله: "مِنّي" مع أنه كان يمكنه أن يقول: "منها"، فيعود الضمير على العين، فلعل ذلك للإشارة إلى أن من كان مثله في المنزلة والمكانة جدير بأن يضبط نفسه في هذه المواقف الخطرة، ولكن الهوى الغلّاب، وإيثاره نظرة على النظر؛ لإرادة نوع منه ، وهو نظر الخلس، وأما إيثار "ثم" على الفاء في قوله: "ثم أُطْرِقُ" فللإشارة إلى أنه إذا نظر – وإن كان النظر برغمه– أَسَرَتْه محاسن من ينظر إليه، وملكت عليه ناظريه، حتى كأنهما قد سُمِّرا، ثم يتغلب العقل بعد فيُطْرِق"(١).

ثم استطرد الشيخ نوار في نقل بعض الأمثلة التي ذكرها الإمام عبد القاهر، وقد تحقق فيها الحسنان: حسن اللفظ وحسن النظم، فذكر قول ابن المعتز:

سالت عليه شِعابُ الحَيّ حِينَ دعا ... أَنْصَارَهُ بوجوهٍ كالدَّنَانير(٢)

وقوله تعالى: ﴿واشْتَعَل الرَّأس شَيبا﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿وفَجَّرنَا الأرض عُيونًا﴾(٤).

---

(١) السابق: ٤٠.

(٢) هذا البيت لسبيع بن الخطيم التيمي، ولم أعثر له على ديوان، وهو موجود في دلائل الإعجاز: ٧٤، ٩٩/ من بحر البسيط.

(٣) مريم: ٤.

(٤) القمر: ١٢.

وقول الشاعر:

الليلُ داجٍ كَنَفا جِلْبابِهِ ... والبَيْنُ مَحْجورٌ على غرابه[١]

وقول المتنبي:

غَصَبَ الدّهْرَ والمُلُوكَ عَلَيْها ... فبناها في وَجنَةِ الأرضِ خالا[٢]

وقول ابن المعتز يصف جارية سوداء:

يا مِسكَةَ العَطّارِ ... وخالَ وَجْهِ النَّهارِ[٣]

وقد نقل الشيخ نوار تحليل الإمام عبد القاهر لهذه الأمثلة، وناقشه في بعض ما ذكره فيها، وقد كان للشيخ نوار فيها نظرات ثاقبة، وتأملات صائبة، واستنتاجات معقولة، ومناقشات هادفة، واعتراضات مفيدة، وإضافات نافعة، وفوائد رائعة، يجدر بنا هنا أن نحيل القارئ عليها بغية الاختصار، وإيثارًا للإيجاز هنا، واكتفاء بما ذكرته حول بيت ابن المعتز "وإني على إشفاق عيني من العدى ..."؛ ليكون نموذجًا لذلك، ودليلًا علي ما لم يذكر[٤].

<u>حكاية النظم:</u>

أفاد الشيخ نوار أولًا أن توارد الخواطر وتوافقها وتطابقها على عقل ولسان أكثر من واحد فإن كل واحد منهم يعد ناظمًا، يقول: "لا نزاع في أن النظم الواحد قد يكون لقائلين اتفاقًا، ومن ذلك توافق الخواطر في الشعر مثل البيت المشهور:

(١) لم أعثر على قائله، وهو موجود في دلائل الإعجاز: ١٠٢/ من بحر الرجز.

(٢) ديوان المتنبي: ٤١٢/ من بحر الخفيف.

(٣) ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن المعتز: ١/ ١٨٠/ من بحر المجتث.

(٤) مذكرات في البلاغة: ٣٩- ٤٤.

وُقوفاً بِها صَحْبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم ... يَقولونَ: لا تَهلِكْ أَسىً وَتَجَمَّلِ[١]

فإن هذا البيت روي لامرئ القيس ولطرفة بن العبد مع اختلاف في القافية، وعبارات كثيرة تجري على ألسنة القائلين ، فكل واحد منهم ينظم كما ينظم الآخر، وكل واحد منهم توخى في أسلوبه نفس ما توخاه الآخر من معاني النحو، فليس باطلًا أن أتوخى ما توخاه الآخر"[٢].

ثم حَدَّدَ بعد ذلك الموضوع الذي عالجه عبد القاهر، وهو حكاية النظم على وجه روايته، أو رواية نظم الكلام وحكايته، ولقد نفى الإمام عبد القاهر أن تكون حكاية النظم نظمًا، وإنما هي حكاية متون الألفاظ وأجراس الحروف والصورة التي خرج الكلام عليها؛ لأن النظم والترتيب من عمل مؤلف الكلام في معاني الكَلِم لا في ألفاظها، يقول: اعلم أنه لا يصلح تقدير الحكاية في "النظم والترتيب"، بل لن تعدو الحكايةُ الألفاظَ وأجراسَ الحروف ... و"النظمُ والترتيبُ" في الكلام -كما بَيَّنّا- عملٌ يعمله مؤلفُ الكلام في معاني الكَلِم لا في ألفاظها"[٣].

وقد اتفق الشيخ نوار مع الإمام عبد القاهر في أن حكاية النظم ليست نظمًا، يقول: "فإن حكاية القول على وجه روايته لا يعقل أن تكون في النظم وتوخي معاني النحو، وإنما يعقل أن تكون في متون الألفاظ والصورة التي خرج الكلام عليها، وكانت نتيجة لصنع الناظم ورويته وتفكيره، فالراوي

---

(١) ديوان امرئ القيس: ٩/ من بحر الطويل/ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار المعارف/ القاهرة / الطبعة الخامسة/ بدون تاريخ ، ديوان طرفة بن العبد: ٢٣/ من بحر الطويل/ بلفظ "تَجَمَّدِ" بدلًا من "تَجَمَّلِ"/ شرح الأعلم الشَّنْتَمَرِيّ/ تحقيق: دريّة الخطيب، لطفي الصقّال/ إدارة الثقافة والفنون/ دولة البحرين، المؤسسة العربية/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الثانية/ ٢٠٠٠م.

(٢) مذكرات في البلاغة: ٤٥.

(٣) دلائل الإعجاز: ٣٥٩.

الحاكي لا شأن له بنفس النظم الذي هو عمل الناظم ومجهوده ...وإذا قلت: قال امرؤ القيس في وصف فرسه:

مِكرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ من عَلِ(١)

فلم تتجاوز أن أجريت صورة البيت الظاهرة على لسانك، وقد تفهم المعنى مع هذا، وقد تفهم أسرار النظم أيضًا، ولكن شتان ما توخى أسرار النظم وما فهمها وتصورها، على أن من الرواة من لا يفهم أسرار النظم، ولا مواطن جودته ومسارح جماله"(٢).

وذكر أن الأمر في عدم حكاية النظم حال رواية الكلام، وأن الذي يحكى هو الصور الظاهرية ومتون الألفاظ بَدَهِيّ، ولكن الإمام عبد القاهر مفتون بفكرته، وأراد أن يلتمس لها ما يحققها، ويجلو عنها ما عسى أن يغشاها من شُبَه، كما ذكر أنه استدل على عدم حكاية النظم بمجموعة من الأدلة منها: "أن الراوي لو كان يحكي النظم لكان قد عمل في المعاني وترتيبها واستخراج النتائج والفوائد نفسَ ما عمله المحكي عنه، ولو صح هذا لكان شاعرًا أو ناثرًا مثله، ولصح أن يقال: إن الراوي شَبَّهَ واستعار، وجعل هذا فاعلًا وذاك مفعولًا، وذاك مبتدأ وهذاك خبرًا، بل ولصح أن يقال للحاكي: إنه صادق فيما حكاه أو كاذب نظير من يحكي عنه، وذلك كله باطل ... وأن إضافة أي كلام لقائله لا يمكن أن تكون من جهة متون الألفاظ، فإن الإضافة للاختصاص، وإنما يختص القول بإنسان من جهة ما فيه من نظم ودقة صنع؛ ذلك لأن الألفاظ حق مشاع لجميع الناس ... والكلمات لا تخص قائلًا، وإنما يخصه عمله وتأليفه"(٣).

(١) ديوان امرئ القيس: ١٩/ من بحر الطويل.

(٢) مذكرات في البلاغة: ٤٥، ٤٦.

(٣) السابق: ٤٦ – ٤٨، وينظر دلائل الإعجاز: ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢.

شبهات وردود:

قد أورد الشيخ نوار مجموعة من الشبهات التي ذكرها ورد عليها الإمام عبد القاهر، وعرضها الشيخ نوار بأسلوب سهل وواضح ووجيز، وناقش الإمامَ عبدَ القاهر في عرضها ورده عليها، ومن ذلك ما يأتي:

١- ذكر الشيخ نوار أن الإمام عبد القاهر قد قرر أن شبهة حكاية النظم نتجت ونجمت عند أصحابها من ثلاثة أمور مجتمعة، وهي أن المعاني لا تتجلى عند السامع إلا من الألفاظ، وأن الوقوف على الأمور التي بتوخيها يكون النظم إنما هو بأن تنظر إلى الألفاظ مرتبة طبق ترتيب المعاني، وأن العادة جرت بأن تجري أوصاف الحسن للألفاظ، فيقولون: قد نظم ألفاظًا فأحسن نظمها، وألف كَلِمًا فأجاد تأليفها، وإذا كان النظم في الألفاظ فالتوخي والترتيب فيها أنفسها. وقد رأى الشيخ نوار -وأنا أوافقه فيما رآه- أن هذه الشبهة كان يكفي فيها الأمر الثالث، وأن الرد عليها ظاهر؛ لأن التوخي والنظم ليسا في متون الألفاظ، وإنما هو توخي معاني النحو في معاني الكَلِم، لكن الإمام عبد القاهر أطنب في عرض هذه الشبهة، وأطال في الرد، وهو واضح وسهل وميسور[١].

٢- أن من جعل الحسن للألفاظ لا للنظم والمعانى قد يستند إلى تقسيم العلماء للحسن في الشعر إلى ثلاثة أقسام: إلى حسن في اللفظ فقط، وإلى حسن في المعنى فقط، وإلى حسن في اللفظ والمعنى معًا، ويرى الشيخ نوار في الرد على تلك الشبهة أن وصف اللفظ بالبلاغة والفصاحة والبراعة والحسن وكل ما يدل على جماله إنما هو راجع لنفس اللفظ ومتنه ومادته، وليس راجعًا إلى النظم[٢].

---

(١) مذكرات في البلاغة: ٤٧.

(٢) السابق: ٤٨.

٣- أن من الناس من يجعل النظم مجرد تتابع الكلم وانضمامه بدون ملاحظة وجوه النحو ومعانيه، ويرد عليهم بأن مجرد انضمام بعض الكلام إلى بعض مع إغفال وجوه النحو أمر لا قيمة له، ولا ترتبط به صحة المعنى ولا فساده، ولا بلاغة الأسلوب وقوة تأثيره، وأن فساد المعنى أو صحته منشؤهما النظم، ويتبعان معاني النحو الظاهرية أو التقديرية(٣).

وأورد الشيخ نوار في نهاية حديثه عن النظم تحت عنوان "أمثلة أخرى واستطراد" مجموعة من الأمثلة، وقام بتحليلها تحيلًا بلاغيًّا رائعًا ينم عن دقة فهمه وحسن تذوقه مستعينًا في ذلك بتعليقات الإمام عبد القاهر عليها(٤)، ولعل الشيخ نوار قد لجأ إلى هذا الاستطراد؛ ليبين للقارئ والباحث طريقة تحليل النص، واستخراج ما انطوى عليه من أسرار، وسبر غوره للوصول إلى اللطائف والدفائن والكنوز التي أودعها المتكلم البليغ في كلامه، هذا بالإضافة إلى أن الإكثار من الشواهد وتحليلها يُرَبّي في القارئ ملكة التذوق التي هي عماد دراسة الأدب.

(١) السابق: ٥٠، ٥١.

(٢) السابق: ٥٢-٦٩.

المبحث الثاني– مواقع التمثيل:

لقد ذكر الشيخ نوار أن كتب اللغة –كأساس البلاغة للزمخشري، ولسان العرب لابن منظور– لم تفرق بين التمثيل والتشبيه، فيقال: مَثَّلَ به، أي شَبَّهه، وتَمَثَّلَ به، أي تَشَبَّه، وأن علماء البيان اتفقوا على جعل التمثيل أخص من التشبيه، وقَسَّموا التشبيه إلى:

١– تشبيه تمثيلي.

٢– غير تمثيلي. وعلة هذا التقسيم أنهم وجدوا بين أفراد التشبيه تفاوتًا يبرر هذا التقسيم، حيث وجدوا أن بعض التشبيهات لا تدل على مقدرة فنية؛ لعدم احتياجها إلى إعمال العقل وكد الفكر والحذق والمهارة كالتشبيهات الساذجة التي تجري على ألسنة العامة، وتكون في مقدور جميع الناس كتشبيه الخد بالورد، فيكفي الناظر إليهما أن يراهما بعينيه، فتظهر له الحمرة فيهما، ومثل هذا التشبيه أجمع البلاغيون على عدم تسميته تمثيلًا، ووجدوا بعض التشبيهات تدل على مقدرة فنية؛ وذلك لاحتياجها إلى دقة نظر، وقوة ملاحظة، وعمق فكر، ومهارة فنية، وتلك هي التشبيهات التي تسمو عن عقول العامة، وقد تكون آية من آيات الفن الخالدة، ومنها مما اختصه البلاغيون باسم التمثيل أو التشبيه التمثيلي قول البحتري في مدح إسحاق بن إسماعيل:

دانٍ على أيْدي العُفَاةِ، وَشَاسِعٌ ... عَنْ كُلِّ نِدٍّ في النَّدَى وَضَرِيبِ

كالبَدْرِ أفرَطَ في العُلُوّ، وَضَوْءُهُ ... للعُصْبَةِ السّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ[(١)] [(٢)]

(١) ديوان البحتري: ١/ ٢٤٨، ٢٤٩ / من بحر الكامل/ بلفظ "في العلا" بدلًا من "في الندى"/ تحقيق: د / حسن كامل الصيرفي/ دار المعارف/ القاهرة/ الطبعة الثالثة/ بدون تاريخ.

(٢) مذكرات في البلاغة: ٧٠.

آراء البلاغيين في مفهوم التمثيل:

ذكر الشيخ نوار أن أقوال البلاغيين في مفهوم ومعنى التمثيل أو التشبيه التمثيلي بلغت أربعة أقوال، وأفاد أن هذا الاختلاف قد جاء بناء على اختلافهم في مناط إنعام النظر وموضع الدقة، أهو تركب الطرفين؟ أم هو انتزاع وجه الشبه من متعدد؟ أم هو عقلية وجه الشبه؟ أم هو وهميته[١].

ثم ذكر هذه الآراء مبينًا وجهة نظر كل رأي منها مشفوعة بالتمثيل والتوضيح[٢]، وجاء ذلك على النحو التالي:

الأول- رأي السيد الشريف: وخلاصته أن التمثيل تشبيه تركب طرفاه، وبالتالي تركب وجهه، وذلك مثل تشبيه بشار بن برد:

كَأَنَّ مُثَارَ النَقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا ... وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ[٣]

حيث شبّه هيئة الغبار المثار وفيه السيوف مضطربة ومتداخلة، بِهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقَط وتتهاوى في جِهات مختلفة، والوجه هو الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مستطيلة متفرقة في جوانب شيء مظلم.

الثاني- رأي الجمهور: وهو يرى أن تشبيه التمثيل ما كان وجهه منتزعًا من متعدد سواء أكان الطرفان مركبين أم لا، وسواء أكان وجه الشبه عقليًّا أم لا، وذلك كتشبيه بشار السابق وقول قيس بن الخطيم:

---

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق: ٧٠، ٧١.

(٣) ديوان بشار بن برد: ١/ ٣٣٥/ من بحر الطويل/ بلفظ "رؤوسهم" بدلًا من "رؤوسنا"/ شرح وتحقيق: محمد الطاهر بن عاشور/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة/ ١٣٦٩ هـ -١٩٥٠م.

وَقَدْ لاحَ في الصُّبْحِ الثُّرِيَّا لِمَنْ رَأَى ... كَعُنْقُودِ مُلَّاحِيَّةٍ حِيْنَ نَوَّرَا[١]

حيث شبه الثريّا بعنقود عنب، وهو تشبيه تمثيل؛ لأن وجه الشبه هيئة أجرام مستديرة متفاوتة في مرأى العين صغيرة غير متضامة ولا متلاصقة.

الثالث- رأي الإمام عبد القاهر: وخلاصته أن التمثيل عنده تشبيه وجه الشبه فيه عقلي غير غرزي وغير خلقي، فإذا كان وجه الشبه حسيًّا أو عقليًّا غرزيًّا أو خلقيًّا فذلك تشبيه لا تمثيل عند الإمام، وليس بواجب عنده أن يكون الطرفان مركبين، كما ليس بواجب أيضًا أن يكون وجه الشبه هيئة منتزعة من متعدد، وعليه فكل من تشبيه بشار وتشبيه قيس بن الخطيم السابقين وكذلك تشبيه إنسان بآخر في الكرم أو الشجاعة ليس تمثيلًا عنده، أما نحو تشبيه الحجة بالشمس في إزالة ما يمنع الإدراك فتمثيل عنده، وكذلك التشبيه في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾[٢] **فهو تمثيل لديه.**

الرابع- رأي السكاكي: وهو يرى أن التمثيل ما يكون وجهه هيئة منتزعة من متعدد مع كونه وهميًّا لا حسيًّا ولا عقليًّا، ومَثَّلَ السكاكي لذلك بكثير من الأمثلة التي ذكرها عبد القاهر، ومنها الآية السابقة[٣].

وبعد أن ذكر الشيخ نوار آراء البلاغيين في التمثيل لم يترك القارئ دون أن يذكر الراجح لديه من هذه الآراء، وإنما رَجَّحَ منها -وأنا أوافقه فيما

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ٧٩/ من بحر الطويل/ تحقيق: د/ إبراهيم السامرائي، د/ أحمد مطلوب/ مطبعة العاني/ بغداد/ الطبعة الأولى/ ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) مذكرات في البلاغة: ٧١، وينظر: مفتاح العلوم: ٣٤٦-٣٤٩/ السكاكي/ تحقيق: نعيم زرزور/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

رَجَّحَ- رأي الإمام عبد القاهر، وبنى ترجيحه على دليل قوي، وأشاد بقيمة الوجوه العقلية مع عدم الاعتداد بقيمة التفرقة بين الوهمية والعقلية في فن البلاغة، يقول: "وأنت إذا عرفت أن التفرقة بين الوهمية والعقلية لا قيمة لها في فن البلاغة، وأن الوجوه العقلية حَرِيَّة أن تُفْرَد باسم خاص؛ لأنها الميدان الذي تتسابق فيه العقول الراجحة، ولأن لذة إدراكها بعد العناء والنصب لا تعادلها لذة الإدراكات الحسية، تعلم أن رأي الشيخ في التمثيل أولى من سواه، وإن كانت المسألة اصطلاحًا وتواضعًا"(١).

وأشاد جدًا ونوه بمعالجة عبد القاهر لمواقع التمثيل مما يدل على كلف الشيخ نوار وولعه وإعجابه بالإمام، وهو محق في ذلك، يقول: "ثم خرج من ذلك إلى فصل في مواقع التمثيل هو من أبدع ما كتبه الشيخ في كتابيه علمًا وأسلوبًا، ففي الحق إنه آية من آيات العلم، وفي الوقت نفسه هو آية من آيات المقدرة البلاغية، فقد صَوَّرَ أسرار التمثيل، وبَيَّنَ عللها تصويرًا يعجز عن مثله جميع من ألف في علم البلاغة إلى وقتنا هذا"(٢).

وأشار إلى أمر مهم جعله معيارًا دقيقًا يقاس به سمو التمثيل وانحطاطه، وهو ترابط أجزاء التمثيل وتعانقها وتعلق بعضها ببعض، وارتباطها بالغرض المسوق له، يقول: "الطريق من طرق البيان يعتريه ما يعتريها من سمو وانحطاط، فإذا تعانقت أجزاء التمثيل، واشتبكت صورة المشبه به بصورة المشبه اشتباكًا يقرب بين المختلفين، ويظهرهما في صورة المتحدين، وكان لكل جزء من أجزائه اتصال تام بالغرض المسوق له، دق

(١) مذكرات في البلاغة: ٧٢.

(٢) السابق نفسه.

مذهبه، وسمت منزلته، وإذا ضعف في ناحية من هذه النواحي انحطت قيمته"[١].

أقسام التمثيل:

ذكر الشيخ نوار أن الإمام عبد القاهر قَسَّمَ التمثيل إلى قسمين:

١- أن تبرز المعاني ابتداء في صورة التمثيل ومعرضه.

٢- أن يأتي التمثيل في أعقاب المعاني. وعلل هذا التقسيم بأن المعنى الممثل إما أن يظهر في صورة التمثيل، بأن يجتمع طرفا التمثيل في جملة واحدة، وإما أن يُقَرَّر المعنى الممثل أولًا، ثم يؤتى بالتمثيل بعده، وهو التمثيل الواقع في أعقاب المعاني، ثم بَيَّنَ مزية كل قسم فقال: "وللقسم الأول مزية الإيجاز، وقوة اشتباك طرفي المشبه به والمشبه، وللثاني مزية وقوع التمثيل بعد تطلع النفس له وتوجهها لما يقرر المعنى الممثل"[٢]

ولَخَّصَ فوائد التمثيل مطلقًا في أنه "يكسو المعنى شرفًا وجلالًا، ويدعو السامع إلى قبوله، وإلى الحرص عليه، والإعجاب به، وإلى الحكم للمُمَثَّل ومُخْتَرِع التمثيل بالإجادة وقوة الافتنان"[٣].

تنوع آثار التمثيل بتنوع الأغراض:

أفاد الشيخ نوار فيما نقله ولخصه عن الإمام عبد القاهر أن آثار التمثيل تتنوع بتنوع الأغراض التي من أجلها سيق، وذكر أنه في الحمد يجعله أهز للعطف، وأجلب للفرح، وأقضى للمادح بغُرّ المواهب والعطايا، وأَسْيَر على الألسنة، وأن الهجاء معه يكون أكثر ألمًا، وأشد وخزًا في

(١) السابق: ٧٢، ٧٣.

(٢) السابق: ٧٣.

(٣) السابق نفسه.

النفوس من وخز السهام في القلوب، وأنه في الحجاج يوضح الدعوى وينيرها، ويدعو إلى قبولها والاقتناع بها، وفي الاعتذار يجعله أدعى إلى سلّ السخائم من القلوب، وأقدر على تخفيف حدة الموجدة، وأقوى على إعادة المعتذر إليه إلى حاله الأولى ، وفي الوعظ يجعله أكثر تأثيرًا، ويجعل الواعظ أفضل أداء وفاعلية، وأقدر على تصوير الفضائل في صورة أَخّاذة بالنفوس وجذابة، وتصوير الرذائل في صورة قبيحة منفرة، وأخذ الشيخ نوار يوضح هذا الكلام ويوكده للقارئ، فيأتي بالمعنى من غير تمثيل كأن يقال في المدح: إنك ملك تفوقت على جميع الملوك، وإن رفعة شأنك أخفت رفعة شأنهم، ثم يطلب منه أن يوازن ويقارن بينه وبين المعنى ذاته مع التمثيل في قول النابغة:

فإِنَّكَ شَمْسٌ ، والملوكُ كواكبٌ ... إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ[1]

وكذلك أن يقال في الهجاء: إن الجاهل الفاسد الطبع يتصور الشيء على غير حقيقته، ويخيل إليه أن الصواب خطأ، ثم يوازن بين هذا المعنى بدون تمثيل وبين المعنى نفسه مع التمثيل في قول المتنبي:

أرَى المُتَشاعِرينَ غَرُوا بذَمّي ... ومَن ذا يَحمَدُ الدّاءَ العُضالا

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرّاً بِهِ المَاءَ الزُّلالا[2]

وما على القارئ إلا أن يقرأ المعنى مرة بدون تمثيل ومرة أخرى في سياق تمثيل؛ ليتضح ويظهر له الفرق بينهما، ويستطيع بالقياس على ماذكر مع هذه الأغراض أن يدرك فوائد التمثيل وآثاره في الأغراض الأخرى كالرثاء

(١) ديوان النابغة الذبياني: ٢٠/ من بحر الطويل/ تحقيق حمدو طمّاس/ دار المعرفة/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) ديوان المتنبي: ١٤١/ من بحر الوافر.

والوصف والفخر وغيرها[١]. ونلحظ هنا أن الشيخ يعول في إدراك الفرق بين المعنى بدون تمثيل والمعنى في سياق التمثيل على ملكة التذوق لدى القارئ، وهي معيار دقيق وصائب لا سيما إذا كانت قوية، وصقلها صاحبها بالدربة والمران.

أسباب حسن التمثيل:

لقد قرأ الشيخ أسباب حسن التمثيل التي ذكرها الإمام عبد القاهر، وفهمها فهمًا جيدًا، وعرضها عرضًا حسنًا ورائعًا بأسلوب منطقي بليغ ينم عن فهمه الجيد والواعي لما كتبه الإمام في هذا الشأن، ولَخَّصَ ذلك في خمسة أسباب[٢] هي كالتالي:

١- التقريب بين أمرين مختلفين، وعقد مشابهة بين متباعدين في الجنس، ومعلوم أن إبراز المختلفين في صورة المتفقين تصرف غريب يدعو إلي الأريحية، ويثير الدفين من الارتياح والإعجاب، وأنه كلما كان التباعد بين الشيئين أشد، وتصويرهما في صورة المتفقين والمتحدين ألطف وأدق، كان الإعجاب بالتمثيل أقوى، وكان اهتزاز النفوس له أحرى، ومثال ذلك قول النابغة الذبياني:

فإنَّكَ شَمْسٌ ، والملوكُ كواكبٌ ... إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ[٣]

وذكر أن للمعاني المعقولة شبهًا في الأشباح الماثلة، وذلك كقول القائل: أخلاق كأزاهير الرياض، وعزائم كالمشرفية مضاء، وحجج كالشمس في تجلية الشبه وإزالة الشكوك، كما ذكر أن التمثيل قد يرتقي إلى ما هو أبعد من ذلك فيُرِي المتلقي التئام الأضداد، فيجمع بين الحياة والموت،

(١) مذكرات في البلاغة: ٧٤، ٧٥، وينظر أسرار البلاغة : ١١٥- ١٢٠.

(٢) مذكرات في البلاغة: ٧٦- ٨٢.

(٣) ديوان النابغة الذبياني: ٢٠/ من بحر الطويل.

والماء الزلال والنار، وذلك كقول القائل: هو حياة لأليائه، وحتف لأعدائه. وذكر لتحقيق التمثيل هذا الغرض شرطًا، وهو أن يصيب الممثل بين المختلفين شبهًا صحيحًا معقولًا مقبولًا وارتباطًا واضحًا؛ لأن تصوير شيء بشيء آخر تصويرًا مستكرهًا وغير معتمد على اتصال مقبول بين الأمرين هو تصوير أخرق، وتشبيه مردود غير مقبول(١).

٢- دفع الريب عن المعنى الممثل، وجعله بمنجاة من الإنكار إذا كان غريبًا يمكن أن يرتاب فيه، ونادرًا غير مألوف يمكن أن يتجهم له، ويقابل بالاستنكار؛ ذلك لأنه بالتمثيل تنتقل نفس السامع من خفيّ إلى جليّ، ومن شيء لم تتأكد علمه إلى شيء آخر هي به أعلم ، وثقتها به آكد، كقول المتنبي:

فإنْ تَفُقِ الأَنامَ وأنْتَ مِنهُمْ ... فإنّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزالِ(٢)

فلما ادعى أن ممدوحه فاق الأنام إلى حد انقطعت فيه مشابهته لهم حتى صار كأنه أصل بنفسه وجنس برأسه، شعر بأن دعواه محل نظر أو اعتراض، فعمد إلى التمثيل؛ ليدفع به ما عسى أن يكون من ريب أو إنكار واستبعاد.

٣- تأكيد المعنى الممثل وتقريره وترسيخه وتثبيته في نفس السامع وإن لم يكم موضع شك أو إنكار؛ لأن التمثيل يصور المعنى الممثل بالمعنى الممثل به، ويوضحه ويزيل الخفاء عنه، ولا سيما في تمثيل المعقول بالمحسوس؛ لما للمشاهدة من التأثير في النفس مع العلم بصدق الخبر، ومما يدل ويؤكد أن التمثيل بالمشاهد المحسوس يزيد النفس أنسًا بالمعنى الممثل، ويزيد في اطمئنانها به أنك قد تعبر عن المعنى بالعبارة

(١) مذكرات في البلاغة: ٧٦- ٧٨.

(٢) ديوان المتنبي: ٢٦٨/ من بحر الوافر.

التي تؤديه تمام الأداء حتى لا تدع فيه نقصًا، ومع هذا إذا مَثَّلْته تشعر بأنس جديد يدعو إلى الحرص على المعنى ، فهناك فرق بين أن تقول في وصف إنسان ماضي العزيمة: إنه إذا هَمَّ بالشيء لم يزل عن ذكره، وقصر خواطره علي إمضاء عزمه، وبين قول الحماسي:

إذا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْه عَزْمَهُ ... ونَكَّبَ عن ذِكْر العَواقِبِ جانِبا(١)

فالشاعر الحماسي هنا أراك العزم واقفًا بين العينين، ماثلًا أمامك، وفتح إلى مكان المعقول من قلبك بابًا من العين.

٤- يُبَيِّن كغيره من فنون التشبيه مقدار الممثل ومبلغه في القوة والضعف، وفي الزيادة والنقصان، كأن تقول في التشبيه الصريح: هو أسود كحنك الغراب، فتبين مقدار السواد، وتقول في التمثيل: إن علمك في تبديد الشكوك والريب كالشمس في تبديدها الظلمات.

٥- احتياجه إلى مجهود فكري وإلى عناء في طلب صورة للمشبه تناسبه وتطابقه، فإذا أصاب الممثل تلك الصورة بعد ذلك العناء كان موقع التمثيل عنده وعند السامع أحسن وأجل وألطف، وكانا جديرين على الحرص عليه والضن به؛ لأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والحنين إليه، وبذل العناء والتعب في إدراكه، كان نيله أحلى وألذّ من الحصول عليه بدون تعب وعناء، فنجد -مثلًا- أن البحتري عندما قال:

دانٍ على أيْدي العُفَاةِ، وشاسعٌ ... عَنْ كُلّ نِدٍّ في العُلا، وضَرِيبِ
كالبَدْرِ أفرَطَ في العُلُوّ وَضَوْءُهُ ... للعُصْبَةِ السّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ(٢)

---

(١) البيت لسعد بن ناشب المازني، ولم أعثر له على ديوان، وهو موجود في أسرار البلاغة: ١٢٨/ من بحر الطويل.

(٢) ديوان البحتري: ١/ ٢٤٨، ٢٤٩ / من بحر الكامل/ بلفظ "في العلا" بدلًا من "في الندى".

قد وصف ممدوحه بأنه قريب بعيد معا، وقد بذل مجهودًا فكريًّا وعناء عقليًّا حتى وصل إلى تلك الآية التمثيلية، حيث نظر إلى ممدوحه فوجد فيه صفتي قرب وبعد: قرب في العطاء، وبعد في المنزلة، فأخذ يلتمس لهذه الصورة صورة تناسبها، فنظر إلى البدر، فوجد فيه بعد المكان وقرب ضوئه من الناس، ثم نظر إلى الصورتين وطابق بينهما في هذا الشعر الساحر، وهكذا جميع المعاني الدقيقة البديعة تحتاج إلى دقة في الفكر، وعمق في النظر، وقوة في الابتكار، وحكمة في الاختراع، وإلا لما كان هناك فرق بينها وبين المعاني القريبة المبتذلة، ولما كان هناك تفاضل بين الشعراء، وكذلك بين السامعين، ولكان كل من روى الشعر عالمًا به ومميزًا بين جيده من رديئه، وما الشعر الشاعر والنثر الرائع إلا ثمرة للكد الفكري والبراعة الفنية.

وأشار الشيخ نوار إلى نقطة مهمة مفادها أن حاجة التمثيل إلى التفكير لا تقتصر على المتكلم، بل تشمل أيضًا السامع، حيث يحتاج إلى التفكير في فهم المعاني التي أبدعها المتكلم، ولا يخفى أن مبدعي الشعراء ومفلقيهم هم الذين يحسنون ضروب التمثيل وفنون الإبداع والإجادة، وأن النابهين من السامعين والقراء هم الذين يستطيعون فهم ذلك جيدًا عنهم(١).

واشترط ليكون المجهود الفكري حسنًا داعيًا إلى المسرة، وموجبًا للإعجاب، أن يكون ذلك المجهود مثمرًا ثمرة طيبة تقصر عنها همم الكثيرين، أما إن كان المجهود عظيمًا والثمرة قليلة فمثل الممثل في هذا يكون كمثل الغائص في البحر الذي تحمل المشاق الشديدة والصعبة، وخاطر بنفسه، ثم أخرج بعد ذلك الخرز والحجارة(٢).

(١) مذكرات في البلاغة: ٨٢.

(٢) السابق: ٨٤.

الفرق بين المجهود الفكري في الكلام البليغ والمجهود الفكري في الكلام المعقد:

لقد تناول الشيخ نوار هذا الفرق تحت عنوان "إشكال وحله"، فتناوله على هيئة سؤال، وذلك هو الإشكال، وجواب هذا السؤال، وذلك هو الحل.

أما الإشكال فمفاده أنه ربما تطرق إلى ذهن البعض ودار بخلده أنه ما دام حسن التمثيل يحمد من أجل ما يحتاجه المبدع في إنشائه من مجهود فكري وعناء عقلي، وما يحتاجه السامع في كشفه وإدراكه إلى مجهود وعناء أيضًا، فلا وجه إذن لذم الكلام المعقد لاحتياج فهمه إلى المجهود الفكر والعقلي أيضًا ما دام حسن الكلام كله مؤسسًا على الحاجة إلى الفكر وعلى التصرف في القول تصرفًا يجعله ممتنعًا إلا على الحُذّاق وبعيدًا عن عقول العامة والدهماء. فما بالهم قد ذموا التعقيد وأجمعوا على قبحه [١]؟

وأفاد أنه يخشى من أن يكون كثير من المؤلفين المعقدين قد تأثروا بهذه الفكرة الحمقاء، وفهموا أن حسن الكلام لا يتحقق إلا إذا خفي ودق حتى يضطر السامع إلى عناء ومشقة في فهمه، وقد يحتاج إلى تغيير فيه وتبديل وتقدير محذوف، ويذهب مذاهب مختلفة في فهم المراد منه، وإلا فما الذي دعا بعض المؤلفين المتأخرين إلى أن يضعوا كتبًا في علوم مختلفة أساليبها أشبه بالألغاز والمُعَمَّيات[٢]؟

وقد جاء جواب الشيخ نوار عن سبب ذم التعقيد ومدح التمثيل بما فهمه عن الإمام عبد القاهر من أن المجهود الفكري الذي يسمو به الكلام ويمدح ويكون آية من آيات الفن سواء كان ذلك في التمثيل أم في غيره إنما هو مجهود في نفس المعاني وتنسيقها، وفي ربط بعضها ببعض، وفي

(١) السابق: ٨٤، ٨٥.

(٢) السابق: ٨٥.

التأليف بينها، ووضع كل واحد منها في مكانه اللائق به، ثم في مقابلة تلك المعاني بالألفاظ مرتبة ترتيبها ومنسقة تنسيقها، ووضعها بإزائها الوضع الصحيح بحيث تكون الألفاظ والمعاني خاضعة لنظام العقل والفطرة، وبحيث يسهل الانتقال من الألفاظ إلى المعاني، وتكون دلالة الألفاظ على المعاني سهلة وواضحة لا تحتاج إلى عناء، وإن كانت المعاني في نفسها دقيقة تحتاج إلى قوة ملاحظة وعمق فهم، وإن كان تنسيقها يحتاج إلى مهارة وحكمة وإتقان، أما المجهود في التعقيد فليس في شيء من ذلك، وإنما هو في فهم المعاني من الألفاظ؛ لأن دلالة الألفاظ على المعنى المقصود خفية نظرًا لأن الكلام لم يوضع الوضع الطبيعي الصحيح، ولم يرتب الترتيب السليم الذي تبقى معه الدلالة واضحة، فترى المعقد قد أخفى الطريق إلى المعنى أو أغلقه لدرجة أن القارئ قد لا يستطيع أن يفهم المراد إلا بعد تغيير في الأسلوب المعقد تغييرًا يخرجه عن وضعه التعقيدي(١).

وأشار الشيخ نوار إلى فائدة مهمة ورائعة يجدر الإشارة إليها، وهي أن الحصول على المعاني الشريفة يحتاج إلى التفكير والجهد والتعب وإعمال العقل، إذ لا بد دون الشهد من إبر النحل، ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر، يقول: "وإن كان قطف الزهر يحتاج إلى عناء فلا يلزم من وضوح دلالة الألفاظ على معانيها أن تلك المعاني تستغني عن التفكير؛ فإن المعاني الشريفة لا بد فيها من بناء ثان على أول، ورد تالٍ إلى سابق"(٢).

(١) السابق: ٨٥، ٨٦، وينظر أسرار البلاغة: ١٣٩-١٤٣.

(٢) مذكرات في البلاغة: ٨٦.

الخـاتــمـة

وبعد هذه التطوافة التي قضيتها مع العلامة الشيخ/ سليمان نوار في كتابه البديع الرائع الرائد "مذكرات في البلاغة"، قد استقر هذا البحث وأسفر عن عدة نتائج وتوصيات منها ما يأتي:

١- يرى الشيخ نوار أن رأي عبد القاهر يكون مضطربا غير واضح في بعض الأحيان كرأيه في وجه الإعجاز في القرآن الكريم، لكن من يعاود قراءتـه، ويسـتجمع أفكـاره، ويقـرأ جملـة كلامـه، يسـتطيع التوفيـق، واستخلاص رأيه، والوصول إليه(١)؛ ولذا أوصي الباحثين بمعاودة قراءة كلام عبد القاهر أكثر من مرة؛ ليفهم على وجهه الصحيح.

٢- حَثَّ الشيخ نوار على الاهتمام بالبلاغة الكلية التي تتعلق بتصوير الشاعر أو الناثر المعنى الذي يقصده جميعه مثل الاهتمام بالبلاغة الجزئية، وألا تقتصر النظرة البلاغية على بلاغة الكلمة أو الجملة والتركيب(٢).

٣-أنه لا مشاحة في الاصطلاح، وأن المهم هو بيان الجوهر والمغزى، وفهم أسرار دقة النظم، حيث لم ينكر الشيخ نوار على عبد القاهر تسمية الأسلوب الواحد بأكثر من اسم في أكثر من موضع؛ ولذا أوصي الباحثين بالاهتمام بالجوهر والتركيز عليه أكثر من العرض.

٤- يرى الشيخ نوار أن النظم والبلاغة منازل ودرجات ومستويات تتفاوت من درجة إلى مائة، أو من درجة إلى ألف، وذلك بخلاف ما كان يرى عبد القاهر، حيث كان يقصد بالنظم والبلاغة النظم البارع، والتأليف الساحر، والبلاغة العالية الدقيقة التي بها يكون الكلام جديرًا بالإعجاب

---

(١) السابق: ٤.

(٢) السابق: ١٩، ٢٠.

والثناء، وينال المتكلم غرضه من السامع فيملك قياده، ويصل كلامه منه مواقع الإقناع من العقل، ومواضع التأثير من النفس[١].

٥- موافقة الشيخ نوار للإمام عبد القاهر في أن حكاية النظم ليست نظمًا، وأن حكاية القول على وجه روايته لا يعقل أن تكون في النظم وتوخي معاني النحو، وإنما يعقل أن تكون في متون الألفاظ والصورة التي خرج الكلام عليها[٢].

٦- أن الشيخ نوار اعتمد في كتابه "مذكرات في البلاغة" على الإمام عبد القاهر ناقلًا عنه، أو مناقشًا وناقدًا له، أو مستفيدًا منه دون غيره من البلاغيين الذين سبقوا عبد القاهر أو جاءوا بعده، يقول: "فهذا تنسيق لموضوعي: نظم الكلام ومواقع التمثيل من كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" [٣]، وهذا أمر في ذاته محمود، وليس عيبًا، لكن الشيخ نوار لو وَسّع الأمر، وضم مع عبد القاهر غيره، لكانت الفائدة أَرْبَى وأكثر وأغزر.

٧- أبدع الشخ نوار أيما إبداع فيما فهمه عن الإمام عبد القاهر وأجاد عرضه وطرحه ومناقشته في مبحثي النظم ومواقع التمثيل اللذين بنى عليهما كتابه "مذكرات في البلاغة"؛ ولذا أوصي الباحثين بقراءة هذا الكتاب ودراسة كتابه الآخر " مذكرات في الفصل والوصل والقصر"، ففيهما الخير الكثير، والنفع العميم.

٨- بَيَّنَ الشيخ نوار أن سبب مدح التمثيل وذم التعقيد -رغم اشتمالهما على المجهود الفكري- هو أن المجهود الفكري الذي يسمو به التمثيل ويمدح

(١) السابق: ٣٧.

(٢) السابق: ٤٥-٤٩.

(٣) السابق: ٢.

إنما هو مجهود في نفس المعاني وتنسيقها، وفي ربط بعضها ببعض، وفي التأليف بينها، ووضع كل واحد منها في مكانه اللائق به، ثم في مقابلة تلك المعاني بالألفاظ مرتبة ترتيبها ومنسقة تنسيقها، ووضعها بإزائها الوضع الصحيح بحيث تكون الألفاظ والمعاني خاضعة لنظام العقل والفطرة، وبحيث يسهل الانتقال من الألفاظ إلى المعاني، وتكون دلالة الألفاظ على المعاني سهلة وواضحة لا تحتاج إلى عناء، أما المجهود في التعقيد فإنما هو في فهم المعاني من الألفاظ؛ لأن دلالة الألفاظ على المعنى المقصود خفية نظرًا لأن الكلام لم يوضع الوضع الطبيعي الصحيح، ولم يرتب الترتيب السليم الذي تبقى معه الدلالة واضحة(١).

٩- عدم عزو الشيخ نوار النصوص المنقولة إلى مظانها وأماكنها من المصادر، الأمر الذي يجهد الباحث ويُدْئِبه ويُضْنيه في الوصول إليها، هذا بالإضافة إلى الأخطاء المطبعية؛ ولذا أوصي بتحقيق هذا الكتاب، ليخرج في حلة جديدة وقشيبة حتى تسهل الإفادة منه، وتعظم ثمرته.

١٠-الاضطراب في ضبط وتنسيق مباحث الكتاب، حيث نجده يتحدث عن قضية مرجع الحسن في الكلام، وهل هو حسن النظم؟ أو حسن اللفظ؟ أو حسن النظم واللفظ معًا؟ ثم ينتقل بعد ذلك إلى قضية حكاية النظم، ثم يعود بعد ذلك ليستكمل حديثه عن شبهة من قدم اللفظ، وجعل الحسن له لا للنظم، كذلك تناول تحت عنوان "المزاوجة" فن المزاوجة، ثم تناول مع ذلك تحت العنوان نفسه مجموعة من الفنون البلاغية الأخرى التي تناولها الإمام عبد القاهر تحت عنوان "فصل في النظم

(١) السابق: ٨٤-٨٦.

يَتَّحِد في الوَضْع، ويَدِقُّ فيه الصُنْع"[١] كالمقابلة، والتمثيل، والتقسيم فالجمع[٢]، ولعل ذلك يرجع إلى أن كتاب "مذكرات في البلاغة" عبارة عن دروس ومحاضرات أملاها الشيخ نوار على طلاب السنة الرابعة بكلية اللغة العربية، فالمُحاضِر قد يذكر في المحاضرات القادمة ما استدركه على نفسه في دروس المحاضرات السابقة، وقد يعود فيكرر الكلام في بعض الأفكار السابقة تأكيدًا عليها، هذا بالإضافة إلى أن هذه المحاضرات من إملاء الشيخ وليست من كتابته.

وفي نهاية المطاف أرجو أن يكون ما بذلته من جهد في هذا البحث شفيعًا فيما وقع فيه من زلل، أو لحقه من قصور أو خلل، وحسبي أنني اجتهدت راجيًا ثواب المجتهد أصاب أو أخطأ، وأشكر الله على مَنّه وعونه وتوفيقه ، وأسأله إقالة العثرات، وغفران الزلات، وأن يجعل هذا العمل صالحًا، ويجعل قصدي به وجهه خالصًا، كما آمل أن يلقى ذلك الجهد القبول من الله أولًا، ثم ممن يقوم بقراءته ثانيًا، ولا أدعي له الكمال، فالكمال المطلق لا يكون إلا لله وحده، وكُلُّ بني آدم خَطّاء، والعصمة لا تكون إلا لنبيّ، وحسب المرء أن ترجح كفّة حسناته على كفّة سيئاته ، ولله در القائل :

فإنْ أَصَبْتُ فلا عُجْبٌ ولا غَرَرٌ ... وإنْ نَقَصْتُ فإنَّ الناسَ ما كَمُلوا
والكامِلُ اللهُ في ذاتٍ وفي صِفةٍ ... وناقِصُ الذاتِ لمْ يَكْمُلْ له عَمَلُ[٣]

---

(١) دلائل الإعجاز: ٩٣- ١٠٥.

(٢) مذكرات في البلاغة: ٢٨-٥٠.

(٣) روي هذا البيتان منسوبين للإمام الشافعي ، ولم أعثر عليهما في ديوانه ، وهما موجودان في شبكة المعلومات الدولية " الانترنت " / موقع شبكة الفصيح / من بحر البسيط .

(ثَبَت المصادر والمراجع)

١- أسرار البلاغة/ عبد القاهر الجرجاني/ تحقيق: محمود محمد شاكر/ مطبعة المدني/ القاهرة، دار المدني/ جدة/ الطبعة الأولى/ ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة/ الخطيب القزويني/ تحقيق: د/ محمد عبد المنعم خفاجي/ دار الجيل/ بيروت/ الطبعة الثالثة/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣- جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين/ أسامة السيد محمود الأزهري/ مكتبة الإسكندرية / مصر/ ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

٤- دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني/ تحقيق: محمود محمد شاكر/ مطبعة المدني/ القاهرة، دار المدني/ جدة/ الطبعة الثالثة/ ١٣١٤هـ - ١٩٩٢م.

٥- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي -ضمن كتاب الطرائف الأدبية- تحقيق: عبد العزيز الميمني/مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة/ ١٩٢٧م.

٦- ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن المعتز/ تحقيق: د/ محمد بديع شريف/ دار المعارف/ القاهرة/ مصر/ بدون تاريخ.

٧- ديوان امرئ القيس/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار المعارف/ القاهرة / الطبعة الخامسة/ بدون تاريخ.

٨- ديوان البحتري/ تحقيق: د/ حسن كامل الصيرفي/ دار المعارف/ القاهرة/ الطبعة الثالثة/ بدون تاريخ.

٩- ديوان بشار بن برد/ شرح وتحقيق: محمد الطاهر بن عاشور/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة / ١٣٦٩ هـ -١٩٥٠م.

١٠- ديوان طرفة بن العبد/ شرح الأعلم الشَّنْتَمْريّ/ تحقيق: دريّة الخطيب، لطفي الصقّال/ إدارة الثقافة والفنون/ دولة البحرين، المؤسسة العربية/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الثانية/ ٢٠٠٠م.
١١- ديوان علي بن الجهم/ تحقيق: خليل مردم بك/ دار الآفاق الجديدة/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٢- ديوان قيس بن الخطيم/ تحقيق: د/ إبراهيم السامرائي، د/ أحمد مطلوب/ مطبعة العاني/ بغداد/ الطبعة الأولى/ ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
١٣- ديوان كثير عزة/ تحقيق: د/ إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت/ لبنان/ ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١٤- ديوان المتنبي/ دار بيروت/ بيروت/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٥- ديوان النابغة الذبياني/ تحقيق: حمدو طمّاس/ دار المعرفة/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٦- مجلة الأزهر/ الجزء الثالث/ السنة السادسة والخمسون/ ربيع الأول/ ١٤٠٤هـ - ديسمبر ١٩٨٣م.
١٧- مجلة الرسالة / العدد: ٦٨٧/ سبتمبر/ ١٩٤٦م/ القاهرة.
١٨- مذكرات في البلاغة/ سليمان نوار/ مطبعة الصاوي/ ١٣٥٤هـ.
١٨- مفتاح العلوم/ السكاكي/ تحقيق: نعيم زرزور/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

(مَسْرَد الـمـوضوعـات)

الموضوع	الصفحة
الملخص	٦٤٩
المقدمة	٦٥١
التمهيد	٦٥٥
التعريف بالمؤلف	٦٥٥
أ- اسمه ونسبه	٦٥٥
ب- مولده	٦٥٥
ج- نشأته	٦٥٥
د- أعماله ووظائفه	٦٥٦
هـ - مؤلفاته	٦٥٧
و - وفاته	٦٥٧
ز- تلامذته	٦٥٧
المبحث الأول- نظم الكلام	٦٥٩
نظم صحيح غير بليغ	٦٦٨
مَزِيّة اللفظ و مَزِيّة النظم	٦٧٠
حكاية النظم	٦٧٥
شبهات وردود	٦٧٨
المبحث الثاني- مواقع التمثيل	٦٨٠
آراء البلاغيين في مفهوم التمثيل	٦٨١
أقسام التمثيل	٦٨٤
تنوع آثار التمثيل بتنوع الأغراض	٦٨٤
أسباب حسن التمثيل	٦٨٦
الفرق بين المجهود الفكري في الكلام البليغ والمجهود الفكري في الكلام المعقد	٦٩٠
الخاتمة	٦٩٢
ثَـبَت الـمصادر والمراجع	٦٩٦
مَسْرَد الموضوعـات	٦٩٨